بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المصنف

الحمد لمن عيَّن الأعيان بفيضه، وقدَّرها إلى أوقات وأزمان في سمائه وأرضه ولطف بها، وهو اللطيف الخبير، يرشُّ نور التجلي عليها، فهو على ظلمة صبحها منير، وأظهرها إلى الشهادة، وأبرزها من مكان العدم بالإرادة، فأوجد منها ما كان ممكن الوجود، واهبًا لكل منها ما قبل استعداده بمحض الكرم والجود، فأظهر منها آدم، واستخلفه على أسمائه:

فإن أبي ووالده وعرضي　　لعرض محمد منكم فداء

وسميته: «**كشف الحجب المسبلة على فرائد التحفة المرسلة**»، فالله أسأل أن يروي به قومًا عطاشًا، ويزيد قلوبهم به انتعاشًا، وقد أهديت ثوابه لشرف المصطفى؛ ليتحد مع أصله، ويكون حالهما حال الهدي الوارد إلى محله، فأسأله بمن جعله المظهر الأتم للعالم، وصيره الأب الأكبر للناس وآدم أن يقبل منِّي ما أهديت، وأن يعمه بقبوله، ولا يجعله برده كالميت صلى الله تعالى عليه وعلى إخوانه المرسلين وآل كلٍّ أجمعين آمين.

المنعوتة بالعالم، وجعله مرآة ذلك الشبح المُسوَّى، وختم به على خزانة العالم بما قدر وسوى، فهو الإنسان الحادث الأزلي، والنَّشْءُ الدائم الأبدي، والكلمة الفائضة الجامعة، والحكمة البالغة البارعة، فتم العالم بوجوده من العدم، وإبرازه إياه ذو الأزلية والقدم، والصلاة والسلام على النور الذاتي الذي أشرقت به الظلم، المبعوث بالرسالة إلى خير الأمم، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأنصاره وأحزابه، وعلينا وعلى كافة المسلمين صلاة وسلامًا دائمين مدى الأحقاب والسنين.

أما بعد... فيقول راجِي لطف ربه السرمدي أبو الخير عبد الرحمن الشهير بالسويدي ابن الشيخ عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين العباسي البغدادي: لما رأيت من ران على قلوبهم الرياء، وحجبهم عن ربهم حبهم البيضاء والصفراء، تخلقوا بأخلاق السادة الزهاد، فنصبوا نفوسهم للهداية والإرشاد، ثم ما كفاهم ما صنعوا حتى خاضوا في علم الحقائق، فزندقوا بما فهموا الخلائق، ولم يزالوا يقررون في الحلول، ولم يفرقوا بين الوجود والحدوث بأمر معقول، بل ادعوا أن الله تعالى حَلَّ في أجسامهم، ويقررون ذلك بكلامهم حتى أني في بدايتي اطَّلعت عليهم، فوليت منهم فرارًا، وهربت منهم إنكارًا، إلا أنهم يلقون إلى الطالب أن هذا علم الحقيقة، وأنه مخالف للشريعة في الحقيقة، ويذكرون له قضية الحلاج، وما رآه من العلاج، ويحملون عبارات القوم على محامل رديَّة، ويبنون عليها عقائد حلوليَّة، فلذلك إذا قرأ عليهم أحد قرروا له حقيقة خفيَّة، فكأن دين القوم المجوسية أو النصرانية.

فلو أدركت تلك السادات للمتهم على نظمهم هذه الكلمات، ولاسيما التحفة المرسلة، فكم طاشت بها أوهامهم، وذلت بها إلى الحضيض أقدامهم، فالتمس مني بعض الطلبة أن أَشْرحُهَا، وأُبيّنُ مغازي القوم وأوضحها، فأجبته إلى سؤاله؛ شفقة على حال أمثاله، فدونته شرحًا كشف الحجاب عن وجود خرائدها، ورفع النقاب عن ثنايا كنوز فرائدها، قد حل من مبانيها كل مقفل، وبين من فضائلها ما أشكل، وسوَّغ لواعظ الشرع أن يتلوها على رؤوس المنابر، وجوَّز لطلاب العلم أن تكتبها بالمسجد لا بسواد المحابر، وصان عرض كتب الشيخ ابن العربي وغيره من السادة الأتقياء، وأنشد حاله للطاعن فيها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صدر كلامه بالبسملة؛ امتثالاً لخبر مصدر الحقائق، ومعدن الطرائق سِرُّ سِرِّ الأكوان، وعينُ عينِ الإنسان «**كل أمر ذي بالٍ لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر**»(١).

(**الحمد**) أي: كل حمد، وهو إظهار الصفات الكمالية والقولية والفعلية والاعتقادية ثابت ومستحق.

(**لله**) بواسطة وغيرها، إذ الكل راجع إليه، والاسم الشريف مستغنٍ عن التوضيح، وقول بعضهم: اسم للذات الواجب الوجود لذاته بيان للوضع لا تعريف، إذ تعريف المعرفة لا يرتكبه عامل؛ لكونه أعرف المعارف.

(**رب العالمين**) أي: مالكهم، وهم العقلاء من جن، وإنس، وملائكة، وأضاف الرب إليهم؛ إظهارًا لحكم الرب على المربوبين، فإن الرب إليهم يشتمل حكمه على جميع الموجودات، وإن لم يكن لها حقيقة في الحقيقة، فإن قيل فعلى هذا كان الأولى أن يقول: رب العالم؛ ليكون دالًّا على ما أراد بالمطابقة، قلنا: قال ذلك موافقة لنظم القرآن، فإنه علمنا الحمد بهذه الكيفية، فلعل فيه حكمة أخرى غير ما ذكرنا، أو تقول: غير العالمين يدخل في حكمهم بالقياس الجلي الأولوي، وحمده هذا حمدانية لا حمد هوية، إذ هي يستهلك فيها حقيقتا الحامد والمحمود، وتبقى واحدًا منفردًا بريئًا عن الثنوية عاريًا بإطلاقه عن التمييز، فلا يطلق الحمد على غيره، إذ لا شريك له يكون مستعليًا عليه، فلا يجب الحمد إلا لنفسه، ثم لتعلم -

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/٦١٠، رقم ١٨٩٤)، والإمام أحمد (٣٩٤٦)، والبيهقي (٣/٢٠٨، رقم ٥٥٥٩)، والدارقطني (١/٢٢٩)، والديلمي (٣/٢٤٦، رقم ٤٧٢٦). من حديث أبي هريرة. والطبراني (١٩/٧٢، رقم ١٤١)، من حديث عبد الله بن كعب عن أبيه، بلفظ: «أقطع»، وزاد الديلمي «وأبتر». وعبد الرزاق في «المصنف» (١٠٤٥٥)، عن رجل من الأنصار، بلفظ: «أبتر».

وأبو داود (٤٨٤٠)، بلفظ: «أجذم». قال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٤/٢٧٠): وَاخْتُلِفَ فِي وَصْلِهِ وَإِرْسَالِهِ، فَرَجَّحَ النَّسَائِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ الْإِرْسَالَ... وَلَهُ أَلْفَاظٌ أُخَرُ أَوْرَدَهَا الْحَافِظُ عَبْدُ الْقَادِرِ الرَّهَاوِيُّ فِي أَوَّلِ الْأَرْبَعِينَ الْبُلْدَانِيَّةِ لَهُ.

أرشدك الله - أن في قوله: «الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ»، إشارة إلى مراتب الألوهية الثلاث اللاتي ذكرها، ففي اسمه الشريف إشارة إلى حضرة الأحدية(١)، وفي الرب إشارة إلى حضرة الوحدة، والحقيقة المحمدية، وفي العالمين إشارة إلى المرتبة الواحدية، والمرتبة الإنسانية، فجعل براعة الاستهلال في الغامض من المقال.

(والعاقبة) آخر الأمر **(للمتخلي)** بطرح السوى **(عن الكونين)** الدنيوي والأخروي المتحلي بحلى الذات والعين، وإنما أتى بصيغة «التفعل» الدالة على التكلف إشارة إلى أنه لا يحصل إلا بذلك، إذ منشأه الفناء، ففناء الفناء، وهو لا يحصل إلا غُبّ المجاهدة، وإنما لم يقل: والعاقبة للمتقين؛ اقتباسًا واقتداءً؛ لأن المتقي اسم فاعل، وهو من جعل الباطن وقاية الظاهر أو بالعكس، وكلّ من هذين القسمين لم يحصل العاقبة التامة لوقوفه مع من اتقى به، فيكون المتخلي أعلى رتبة منه لمروره على ما هو فيه، وتعديه طوره، وإن كان المتقي يفيد هذا المعنى باعتبار الأول، إلا أن هذا أصرح منه في الدلالة، إذ الحقيقة أدل من المجاز، كما لا يخفى أو نقول: المراد بالمتخلي عن الكونين هو المتقي بتقدير الصفة أي: الكامل،

---

(١) قال الشيخ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: ١١٠]: اعلم أن لفظة الأحدية جاءت ثابتة الإطلاق على من سواه تعالى كما في هذه الآية، وإن كان المفهوم منه بالنظر إلى تفسير المعاني على طريق أهل الله أنه لا يعبد من حيث أحديته، إذ الأحدية تنافي وجود العابد، فكأنه يقول لا يعبد إلا الرب من حيث ربوبيته، فإن الرب وجدك فتعلق به وتذلل له، ولا تشرك الأحدية مع الربوبية في العبادة،فتذلل لها كما تتذلل للربوبية، فإن الأحدية لا تعرفك ولا تقبلك فتكون تعبد في غير معبود، وتطمع في غير مطمع، وتعمل في غير معمل، وتلك عبادة الجاهل فنفى عباده العابدين من التعلق بالأحدية، فإن الأحدية لا تثبت إلا لله مطلقًا، وأما ما سوى الله فلا أحدية له مطلقًا، فهذا هو المفهوم من هذه الآية عندنا من حيث طريقنا في تفسير القرآن.

وقال: وإذا قد علمت هذا؛ علمت المراد بقوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص:١] أي: لا يشارك في هذه الصفة. وأما الواحد فإنا نظرنا في القرآن هل أطلقه على غيره، كما أطلق الأحدية؛ فلم أجده. وما أنا منه على يقين، فإن كان لم يطلقه فهو أخص من الأحدية، ويكون اسمًا للذات علمًا لا يكون صفة كالأحدية، فإن الصفة محل الاشتراك؛ ولهذا أطلقت الأحدية على كل ما سوى الله في القرآن، وأطال في ذلك. [مختصر الفتوحات للشعراني] بتحقيقنا.

والمتقي الكامل هو المتخلي بلا ريب، فتسميته حينئذ مُتَّقٍ باعتبار ما كان عليه، فيكون حينئذ عدوله عن ذلك إلى هذا براعة استهلال أو إشارة بنطقه به على لسان الحقيقة غب نطقه بما قبله على لسان الشريعة إلا أن العارف لا يكون عارفًا حتى يتعدى طور الشريعة، إذ هي قبل الحقيقة، فيكون منه رحمة الله أمر معنوي للسالك بملازمة الشريعة في بدايته، إذ شريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا شريعة باطلة، فهما متلازمان، فمن سلك بمحض الحقيقة أو بمجرد الشريعة كان كطالب سرابًا بقيعة.

(**والصلاة والسلام**) من رب القدم (**على المظهر الأتم**) الذي لا فوقه مظهر، ولا تحته مظهر، وهو اسم مكان أي: مكان ظهوره قدرة الله وصفاته في جميع مخلوقاته، بل هو مظهر الكونين بأسرهما، كما سينكشف عن عينك الغطاء عند شرح المرتبة المحمدية، بل نعجل لك رفع الحجاب، ونكشف لك عن غوامض هذا السر النقاب، فنقول: إنما كان خيرة الخلق، وحبيب الحق مظهر كل وجود وسر وانبساط الوجود؛ لأنه ﷺ لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه وتقدير رزقه أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية، ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على صورة حكمه كما سبق في سابق إرادته وعلمه، ثم أَعلمه بنبوته، وبشره برسالته، هذا وآدم لم يكن إلا كما قال: «**بين الروح والجسد**»[1]، ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح، فظهر بالملأ الأعلى، وهو بالمنظر الأجلى، فكان لهم الأحلى، فهو ﷺ الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس، وإلى هذا الكلام المفخم أشار ﷺ بالمظهر الأتم.

(**محمد**) وعلى (**آله**) وهم أتباعه (**وصحبه أجمعين**).

تنبيه: التحقيق عند أصل الرسوم من أصحاب الشافعية - نفع الله برشدهم

---

(١) حديث عبد الله بن شقيق: أخرجه ابن سعد (٥٩/٧)، وابن أبي شيبة (٣٢٩/٧، رقم ٣٦٥٥٣)، وابن قانع (٣٤٧/١). حديث ابن عباس: أخرجه الطبراني (٩٢/١٢، رقم ١٢٥٧١).
حديث ميسرة الفجر: أخرجه ابن سعد (٦٠/٧)، والطبراني (٣٥٣/٢٠، رقم ٨٣٣)، والحاكم (٦٦٥/٢، رقم ٤٢٠٩)، وقال: صحيح الإسناد. وفى الحديث أن النبي ﷺ سئل متى كنت نبيا؟... فذكره.

البرية - أن «**الآل**» يطلق بالاشتراك اللفظي على معنيين أحدهما: الأتباع، وثانيهما: أقاربه المؤمنون والمؤمنات، فخصوه في مقام الزكاة بالثاني، وفي مقام الدعاء بالأول تخصيصًا لكل بما يناسب، فعلى هذا يكون قوله: وصحبه الذين هو اسم جمع لصاحبه، وهو من رأى النبي ﷺ، أو النبي رآه، ومات على الإسلام بناء على مذهب غير الشافعية من القائلين بعدم اندراج الصحب في مفهوم الأول، أو بناء على ما اشتهر عنهم، أو دفعًا لما عسى أن يتوهم من اعتقاد الرافضة المحتجبين عن الإدراك بالحج الأحبة والغامضة، أو أنه من باب عطف الخاص على العام كقوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر: ٤]، ولا يكون إلا لنكتة، وهي هنا مزيتهم على غيرهم بما تحلوا به من العلوم الدينية، وما نافوا به فضيلة النسب.

(**وبعد**) هي كلمة عربية تستعمل للرسوم للانتقال من أسلوب إلى آخر، أول من نطق بها من العرب «قس بن ساعدة»، تتضمن معنى الشرط؛ ولذلك وقع في حيزها فاء الجزاء في قوله: (**فيقول العبد**) بلسان أنيته ووقوفه في مقام الفرق؛ ولذا وصف نفسه بـ(**المذنب**)، إذ قد قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب.

(**المحتاج**) أي: المفتقر (**إلى شفاعة النبي ﷺ**) في الدنيا والآخرة، ووصفه بالنبي ﷺ، ولم يصفه بالرسول على أن النبوة أشرف من الرسالة، وهو خلاف ما حققه ابن حجر من علماء الرسوم لنا أن الرسالة متعلقة بالخلق، والنبوة متعلقة بالحق، وشتان ما بين المتعلق بالخالق، والمتعلق بالمخلوق.

ولنا: ما رواه البخاري في صحيحه من أن النبي ﷺ قال: «**يا فلان إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك إلى أن قال: آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت**». قال: فرددتها على النبي ﷺ فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت. قلت: ورسولك، قال: «**لا ونبيك الذي أرسلت**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٩٠، رقم ١٨٥٨٤)، والبخاري (١/٩٧، رقم ٢٤٤)، ومسلم (٤/٢٠٨١، رقم ٢٧١٠)، وأبو داود (٤/٣١١، رقم ٥٠٤٦)، والترمذي (٥/٤٦٨، رقم ٣٣٩٤)، وقال: حديث حسن. والنسائي في الكبرى (٦/١٩٥، رقم ١٠٦١٨)، وابن خزيمة (١/١٠٨، رقم =

(**محمد بن الشيخ فضل الله**) الهندي، والشيخ لغة من استبانت منه السن، وفي العرف العارف: المرشد (**هذه**) وما بعدها مقول القول، والإشارة بها إلى معقول مطلقًا تقدمت الديباجة على المقصود أو تأخرت (**نبذة**) أي: قل من كثر، وقطرة من أبحر من بعض (**الكلمات**) جمع: كلمة بفتح الكاف وكسر اللام على الأفصح فيهما الكائنة في (**علم الحقائق**) أي: فيها جمع حقيقة، وهي كما قال سيدي ابن العربي: سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل فيك لا أنت: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ [هود:٥٦]، انتهى.

(**جمعتها**) من الجمع بمعنى: الضم، فهو أعم من التركيب الأعم من التأليف (**بـ**) استعانة أو ملابسة (**محض**) أي: خالص (**فضل الله**) تعالى (**وكرمه**) عليَّ حيث أظهر فيَّ قوة علمية أقدرني بها على الجمع من غير استمداد من سفر ولا حفظ من ذكر.

(**وجعلت**) أي: صيرت (**ثوابها**) أي: جزاءها حيث كانت لوجهه تعالى لم أرد بها غيره، فاستحقت الجزاء هبة مني (**لروح رسول الله ﷺ**) وهدية مني إليه، أما الروح فلم تعرف ما هي لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ﴾ [الإسراء:٨٥]، وأما ما سيأتي من تعريف المصنف للأرواح بأنها أشياء كونية..إلخ. فهو على مذهب الحكماء، وفرقة من الصوفية على أن الجمع ممكن بأن التعريف لها كان بخواصها لا بذاتياتها، فلا يلزم منه كشف الحقيقة بما هي عليه (**وسميتها**) أي: النبذة (**بالتحفة**) هي الطرفة جمعها: تحف، وقد أتحفته تحفة، وقيل: أصل التاء «واو» (**المرسلة إلى النبي ﷺ**) باعتبار إرسال ثوابها، إذ هو المقصود منها (**وأسأل الله تعالى**) وأتوسل إليه (**أن يبلغ**) ويوصل (**ثوابها عليه الصلاة والسلام**) من الملك العليم العلام: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ ﴾، موجود ذهنًا وخارجًا ﴿ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت:٣٩] لا يعجزه شيء عن شيء (**وبالإجابة**) وقبول دعاء عبده.

=

٢١٦)، وابن ماجه (٢/١٢٧٥، رقم ٣٨٧٦).

(جدير) أي: حقيق لوعده بها في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر: ٦٠]، وخلف الوعد عليه محال، إذ قد ورد مطل الغني ظلم.

اعلموا يا (إخواني أسعدكم الله) بجلاء الحجب الكثيفة عن مرآة خواطركم اللطيفة (وإياي) الأولى تقديم نفسه لقوله ﷺ «ابدأ بنفسك ثم بأخيك»[1]، وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي ﴾ [الأعراف:١٥١] اللهم إلا أن يقال: هو من باب ساقي القوم، وآخرهم شربًا (أن) الإنسان مشارك لسائر الأجسام في الحصول في الحيز والفضاء، وللنباتات في الاغتذاء والنشوء والنماء، وللحيوانات العجم في حياته بأنفاسه، وحركته بإرادته وإحساسه، وإنما يتميز بما أعطي من القوة النطقية، وما يتبعها من العقل والعلوم الضرورية، وأهليته للنظر والاستدلال، وعلمه بما أمكن واستحال، فإذًا كماله باكتساب المجهولات وتعقل المعقولات، ولما كان علم التوحيد هو أشرف العلوم قدرًا، وأجلها فخرًا، إذ شرف العلوم لشرف الموضوعات، كما أن تمايزها بها لا يغيرها من الجهات كان طلبه هو الأولى، إذ لا علم أفضل من العلم بالله وأعلى، وأنه كما قال سيدي عبد الكريم الجيلي لكثرة اتساعه وعظم شياعه:لا يكاد المرء يبلغ من تداركه مقصودًا، ولو كان بجميع الإمدادات ممدودًا، وأن القوم المشار إليهم بهذا العلم رضوان الله تعالى عليهم إنما أخذوا منه طرفًا، وأبقوا منه طرفًا على قدر القابلية، وقبول الفيض من الحضرة العلية الأحدية.

وقد قال سيدي الجنيد - رحمة الله تعالى عليه -: لو علمت أن تحت أديم السماء علمًا أشرف من علمنا هذا لرُحْتُ إليه.

وقال سيدي السيد أحمد الرفاعي - رحمة الله تعالى عليه - لتلامذته: تعلموا هذا العلم، فإن جذبات الحق في زماننا.

قلت: ولما كان مشحونًا بعبارات يعسر فهمها، ويدق على غير المستفيض علمها، ولاسيما وحدة الوجود، فكم زلَّت بها أقدام، وكم بقي قوم منها بين أحجام وأقدام، وكم أنكر على أهل الله بها أهل الرسوم لما شاع عندهم عنها خلاف

---

(١) أخرجه مسلم (٦٩٢/٢، رقم ٩٩٧)، والنسائي (٦٩/٥، رقم ٢٥٤٦)، والشافعي (٣٢٧/١)، وأبو عوانة (٤٩٠/٣، رقم ٥٨٠٥)، والبيهقي (١٧٨/٤، رقم ٧٥٤٤).

المنطوق والمفهوم اقتضى أن نبرز ما في الصدر إلى السطر، ونطلعك على هذا الأمر، ونطبق هذه المسألة على قواعد الشرع، ونلحق الأصل بالفرع؛ لتكون مما يأتي على خبرة، إذ ما كل مرة تكسر الجرة[1].

---

(١) قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني في «الفتوحات المكية»: إن الحق تعالى موجود بذاته لذاته لا مطلق الوجود، غير مقيد بغيره، ولا معلول من شيء، ولا علة لشيء، بل هو خالق المعلولات والعلل، والملك القدوس الذي لم يزل، وإن العالم موجود بالله لا بنفسه ولا لنفسه، مقيد الوجود بوجود الحق في ذاته، فلا يصح وجود العالم ألبتة إلا بوجود الحق... إلخ.

وقال في الباب السادس: الحق تعالى هو الموصوف بالوجود المطلق؛ لأنه سبحانه ليس معلولاً لشيء، ولا علة، بل هو موجود بذاته، انتهى.

الموجود بذاته متعين بذاته؛ لأن المتعين بأمر زائد على ذاته محتاج في تعين ذاته إلى ذلك الأمر، فلا يكون موجودًا بذاته؛ لأن الموجود بذاته غني بالذات عن العالمين، ومن ثبت له الغنى الذاتي لا يكون معلولاً لشيء، ولا علة موجبة بالذات لشيء.

أما الأول فظاهر، وأما الثاني فلأن العلة تقتضي الارتباط الذاتي بين العلة والمعلول؛ لأن العلة بالذات مقتضية للمعلول، وبين الغنى الذاتي عن العالمين والارتباط الذاتي بشيء منها منافات لكن الحق تعالى غني بالذات عن العالمين بالنص المتواتر، فلا يكون علة مقتضية بالذات لشيء من العالم بل هو فاعل مختار يراعي فيما خلق وأمر تفضلاً ورحمةً لا وجوبًا، فاتضح أن الله تعالى مطلق الوجود غير مقيد بغيره.

وقال الشيخ في الباب الحادي والأربعين وثلاثمائة: إن الله تعالى مطلق الوجود، ولم يكن له تقييد مانع من تقييد بل له التقييدات كلها، فهو مطلق التقييد لا يحكم عليه تقييد دون تقييد، فافهم معنى نسبة الإطلاق إليه تعالى، انتهى.

وإنما لم يكن له تقييد مانع من تقييد؛ لأنه تعالى متعين بذاته، والتعين الذاتي أوسع التعينات.

وقال تلميذه المحقق الشيخ صدر الدين محمد بن الحق القونوي قدس سره في «النصوص»: اعلم أن الحق من حيث إطلاقه الذاتي لا يصح أن يحكم عليه بحكم، أو يعرف بوصف، أو يضاف إليه نسبة ما؛ لأن كل ذلك يقضي بالتعيين والتقييد، ولا ريب في أن تعقل كل متعين يقضي بسبق اللاتعين عليه، وكل ما ذكرنا ينافي الإطلاق، بل تصور إطلاق الحق يشترط فيه أن يتعقل بمعنى أنه وصف سلبي لا بمعنى أنه إطلاق ضده التقييد، بل هو إطلاق عن الوحدة والكثرة المعلومتين، وعن الحصر أيضًا في الإطلاق والتقييد، وفي الجمع بين كل ذلك والتنزيه عنه فيصح في حقه كل ذلك حال تنزهه عن الجميع... إلخ.

يعني: أن الحق تعالى إذا لوحظ من حيث إطلاقه الذاتي بمعنى الوصف السلبي أي: إذا لوحظ في حيث إنه لا يتقيد لشيء فهو تعالى على تقدير اتصافه بهذا العنوان السلبي لا يصح =

فنقول وبالله المستعان وعليه التكلان: افترق أهل العلم في الوجود زمرًا، وتقطعوا أمرهم بينهم زبرًا، فذهب أهل الباطن إلى أنه واحد، وأنه نفس الماهية في الواجب زائد عليها في الممكن، فاعلم أن مغزاهم بقولهم: بوحدة الوجود من الوجود ما صار به الوجود موجودًا إلا الوجود الذي هو مفروض مقدر للممكن من جنسه، وإذا كان مرادهم هذا لم يختلف فيه اثنان في أنه عين وجود الله تعالى؛ إذ القائلون بتعدده يقولون بحدوث الوجود في الممكن، فإذا سُئِلوا عمن أحدثه، قالوا: وجود الله تعالى فالعالم كله من جهة نفسه معدوم بعدمه الأصلي، وأما من جهة

=

اللفظ بعد صحة المعنى، فإن المراد بالوجود المطلق بالإطلاق الحقيقي هو الوجود الخاص الواجب الوجود لذاته المتصف بجميع صفات الإله المتجلي فيما شاء من المظاهر بمقتضى إجراء المتشابهات على ظواهرها مع بقاء التنزيه، وهذا بعينه هو مذهب الشيخ الأشعري في كتابه «الإبانة» وهو آخر مصنفاته الذي عليه التعويل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وبالله التوفيق.

الثاني: الوجود المبسوط على الماهيات المتعين بحسبها وهو الذي بانضمامه إلى الماهيات يترتب عليها آثارها المختصة بها موجود في الخارج وإلا لم يوجد شيء من الممكنات إلا على تقدير كونه معدومًا في الخارج لا يحصل للماهية بضمه وصف لم يكن عليه قبل الضم؛ لأن الوجود المعدوم كالماهية في كونه محتاجًا إلى وجود موجود يتحقق به في الخارج، وما هو كذلك لا يترتب على الماهية بضمه إليها آثارها المختصة بها؛ لأنه ما زادها إلا افتقار فلو كانت توجد بحصول صفة الافتقار لها لكانت توجد قبل ضمه إليها لتحقق افتقارها الذاتي واللازم باطل بالضرورة فلا بد أن يكون الوجود المفاض على الماهيات موجود في الخارج بوجود هو نفسه دفعًا للتسلسل، وهذا الوجود المفاض هو النور المفاض في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [النور: ٣٥]. وفي قوله ﷺ في صحيح البخاري: «**اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن**»، فالحصص المضمومة إلى الماهيات إنما هي حصص الوجود المفاض الذي هو النور المضاف لا المجرد عن الماهيات الغني عن العالمين، وسبحان الله الملك الحق المبين.

وهذا الوجود المفاض هو المعبر عنه بالعماء في حديث أبي زر بن العقيلي ﷺ قال الشيخ قدس سره في مقدمة الفتوحات مسألة بحر العماء برزخ بين الحق والخلق في هذا البحر اتصف الممكن بعالم وقادر وجميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا واتصف الحق بالتعجب والتبشبش والضحك والفرح والمعية وأكثر النعوت الكونية، فرد ما له وخذ ما لك، فله النزول ولنا المعراج. [مطلع الجود للكوراني].

وجوده تعالى، فهو لا وجود له من جهة نفسه أصلاً، فلا يكون ذاته عين وجوده تعالى الذي هو عين ذاته، فالممكنات بوجودها الحادث الزائد على ذواتها موجودة بوجوده تعالى، ولولا وجوده لم يكن شيءٌ موجودًا، فذات الوجود الممكن، وصورته غير الوجود القديم، وصورته ووجودهما واحد هو وجود القديم بالذات، فالقديم موجود بوجود هو عين ذاته لما سيأتي، والحادث موجود بوجود هو عين ذات القديم، فالقديم ليس عين الحادث، ولا الحادث عين القديم، بل كل واحد منهما مباين للآخر في الذات والصفات، وإن اجتمعا في الظهور بوجود واحد، وإذا علمت هذا فاعلم أن الوجود الحق من حيث هو، هو لا بشرط شيء غير مقيد بالإطلاق والتقييد، ولا هو كلي ولا جزئي ولا عام ولا خاص، ولا واحد بالواحدة الزائدة على ذاته، ولا كثير، بل تلزمه هذه الأشياء بحسب مراتبه المنبه عليها بقوله: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ [غافر:١٥]، فيصير مطلقًا ومقيدًا، وكليًا وجزئيًا، وعامًّا وخاصًّا وواحدًا وكثيرًا من غير حصول التغيير في ذاته وحقيقته.

واعلم أيضًا أنه ليس بجوهر ولا عرض ولا تحقيق شيء في العقل، ولا في الخارج إلا به، فهو المحيط بجميعها بذاته وقوام الأشياء به؛ إذ لو لم يكن شيئًا مذكورًا، بل هو عينها، إذ هو الذي يتجلى في مراتبه، ويظهر بصورها وحقائقها في العلم والعين، فيسمى بالماهية والأعيان الثابتة، ولا واسطة بينه وبين العدم، كما لا واسطة بين المعدوم والموجود مطلقًا، والماهية والحقيقية واسطة بين وجودها الخاص وعدمها، والمطلقة الاعتبارية لا وجود لها في نفس الأمر، ولا ضد له، بل هو الذي يظهر بصورة الضدين وغيرهما، ويلزم منه الجمع بين النقيضين، وهو أظهر من كل شيء تحققًا وإنّيّةً، وأخفى كل شيء حقيقةً وماهيةً حتى قيل على الأول: إنه بديهي، وعلى الثاني: كان أعلم شيء به أعلم الخلق في دعائه بقوله: ما عرفناك حق معرفتك، وهو لا يقبل الانقسام والتجزؤ خارجًا وعقلاً؛ لبساطته، فلا جنس له ولا فصل، فلا يحد، وهو لم يقبل الاشتداد ولا الضعف في ذاته؛ لأنهما لا يتصوران إلا في الحال القار وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو الواجب لذاته، وهو نور محض، تعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وإذا تبين لكم المرام، فنرجع إلى المقصود بعون الملك المعبود، فنقول:

اعلموا - أرشدنا الله وإياكم - أن (**الحق سبحانه وتعالى هو الوجود**) المطلق

كما تقدم في المقدمة (**وأن ذلك**) الوجود الذي هو عين ذاته تعالى (**ليس له شكل**) كأشكالنا (**ولا حد**) يحيط به (**ولا حصر**) يضبطه، قال تعالى: ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ [النساء:١٢٦]، وليس له ماهية غير هذا الوجود المطلق المحض؛ إذ لو كان له ماهية غيره للزم في ذاته تعالى التركيب منه ماهية خاصة به، ووجود عام له ولغيره، والتركيب برهان الحدوث، وهو عليه محال، وللزم أيضًا مشابهته تعالى للحوادث وهو محال؛ إذ مشابهة الحادث حادث، وللزم أيضًا التركيب منه وجود وعدم، إذ الجزء الذي هو غير الوجود لا يكون إلا العدم، فيلزم اجتماع النقيضين في ذاته وهو محال، وللزم أيضًا افتقار جزء الذات إلى الآخر المفتقر إليه متقدم في الوجود على المفتقر، وقد ثبتا معًا، فيلزم الخلف وهو محال.

(**ومع هذا**) أي: مع كونه وجودًا محضًا ليس له شكل ولا حد (**ظهر**) أي: انكشف علينا بنا (**بالشكل والحد**) أي: كل شكل وكل حد فعلمنا بنا أنه الواحد الباقي، وأنَّا عَدَمٌ فانٍ، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ ﴾ [فصلت:٥٣].

فنحن مرآة منه حيث أنا مظاهر أحديته وصفاته، وهو مرآتنا منه، حيث أنَّا إذا تفكرنا فيه علمنا أنفسنا، وذلك أن الله تعالى لما شاء منه حيث أسمائه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها.

قال الشيخ ابن العربي: وإن شئت قلت: أن يرى عينه في كون جامع بمصر الأمر؛ لكونه متصفًا بالوجود، ويظهر به سره إليه، فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ما هي مثل رؤيته في أمر آخر يكون كالمرآة، فإنه يظهر له نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه ما لم يكن يظهر له قبل وجود هذا المحل ولا تجليه له، وقد كان الحق تعالى أوجد العالم كله وجود شبحٍ مُسَوًّى لا روح فيه، فكان كمرآة غير مجلوة، ومنه شأن الحكم الإلهي أنه ما سوى محلًا إلا ولا بد أن يقبل روحًا إلهيًا عبر عنه بالنفخ فيه، وما هو إلا حصول الاستعداد منه تلك الصورة المسواة لقبول الفيض الإلهي الذي هو التجلي الدائم، الذي لم يزل ولا يزال، وما بقي إلا قابل، والقابل لا يكون إلا من فيضه الأقدس، فالأمر كله منه ابتداؤه وإليه انتهاؤه، فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة، وروح تلك الصورة.

(**ولم يتغير**) الوجود الحق بعد تجليه وانكشافه (**عما**) أي: الذي (**كان عليه**) في الأزل (**منه عدم الشكل وعدم الحد**) إذ كل شكل ومحدود، بل كل شكل وحد تقديره وتصويره، والمصور إذا ظهر وعرف بتلك الصورة لا يكون متغيرًا عما كان عليه قبل ظهوره، بل صورته قبل التصوير صورته بعده (**بل الآن**) في الحالة الراهنة (**هو كما كان**) عليه إذ كان الله ولا شيءَ معه، ويكون ولا شيءَ معه.

(**و**) اعلموا (**أن الوجود**) الحق (**واحد**) لا تعدد له في ذاته، ولا تركيب لما مر، وإنما التعدد في مصوراته ومقدراته الذهنية والخارجية، ولكن (**الإلباس**) أي: مظاهره التي انكشف لنا بها يعني: صور المخلوقات (**مختلفة**) باختلاف أجناسها (**ومتعددة**) بتعدد أنواعها، ووجودها الذي صارت به موجودة واحدة (**و**) اعلموا أيضًا (**أن ذلك الوجود**) الخاص الذي هو الحق هو (**حقيقة جميع الموجودات**) المعبر عنها بهو هو، إذ كلها كما تقدم موجودة بوجوده تعالى لا بأنفسها، ولا بشيء خارج عنها غيره.

(**وباطنها**) منه حيث إنه المنظور إليها في الاستدلال أولاً، ثم منها إليه على طريقة الانتقال منه الدليل إلى المدلول، وإما منه حيث إنها ماهيات وحقائق وأشخاص، فليست هي الوجود، بل هي مقدراته ومصوراته، وليس الوجود باطنها منه حيث اشتمالها عليه اشتمال الظرف على المظروف، كما قد يتوهم، وما فسرنا به الباطن هو مغزى قول الشيخ الأكبر في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [النساء:١]، أي: اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم، واجعلوا ما بطن منكم، وهو ربكم وقاية لكم؛ إذ الأمر هو حمد وذم، فكونوا وقايته في الذم، واجعلوه وقايتكم في الحمد تكونوا أدباء عالمين، انتهى[1].

---

(١) قال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني: ذكر المتكلمون على وحدة الوجود أن هاهنا وحدات ثلاثًا:

الأولى منها: وحدة كل موجود على انفراده: ومعناها أن كل فرد من أفراد الموجودات الظاهرة والباطنة من حيث هو له من الله تعالى وجه خاص يلقي إليه منه ما يشاء لا يشاركه فيه أحد وله منه أيضًا وجهة معينة وصفة مخصوصة لا تكون لغيره بها يتميز عن غيره من سائر المخلوقات وهذه الوجهة هي حقيقته المختصة به وصفته المخصوصة.

قال في «الفتوحات» في الفصل الخامس عشر من الباب الثامن والتسعين ومائة ما نصه:
=

(و) اعلموا أيضًا (**أن جمع الكائنات**) منه: ماهيات ذهنية، وأشخاص، وأشباح خارجية (**حتى الذرة**) الواحدة منه الذر، وهو صغار النمل وما شاكلها، منه ما هو صغير جدًّا حتى الجزء الذي لا يتجزأ عند القائل به (**لا تخلوا**) في ظهورها ودوامها (**عن ذلك الوجود**) بل هي مرتبطة به ارتباط إيجاد؛ ولذا صح نسبتها إليه (و) اعلموا

=

والعالم ليس بأمر زائد على حقائق معلومة الحق أولاً متصفة بالوجود ثانيًا انتهى منه بلفظه. وقد تعرض في «جواهر المعاني» في الفصل الثالث من الباب الخامس نقلاً عن شيخه أبي العباس التيجاني لإيضاح هذه الوحدة وبيانها على مذهب القوم وإبطال ما قاله أهل الظاهر من إحالتها وإبطال ما ألزموه لمن قال بها وهو أنها تستلزم تساوي الشريف والوضيع واجتماع المتنافيين والضدين إلى غير ذلك مما قالوه.

وحاصل كلامه أن العالم الكبير كذات الإنسان في التمثيل وهي إذا نظرت إليها وجدتها متحدة مع اختلاف ما تركبت منه في الصورة والخاصية، وما ذكروه لا يلزم لأنه وإن كانت الخواص متباعدة والأحكام مختلفة، فالأصل الجامع لها ذات واحدة كذات الإنسان سواء بسواء وأيضًا فلوحدته وجه ثانٍ، وهو اتحاد ذاته في كونه مخلوقًا لله تعالى وأثرًا لأسمائه وصفاته، فلا يخرج فرد من أفراد هذا العالم عن هذا الحكم وإن اختلفت أنواعه، فإن الأصل الذي برز عنه واحد ووجه ثالث، وهو اتحاد وجوده من حيث فيضان الوجود عليه عليه من حضرة الحق فيضانًا متحدًا، ثم اختلفت خواصه وأجزاؤه بحسب ما تفصل ذلك الوجود فإنه يتحد في عين الجملة ويفترق في حال التفصيل راجع كلامه، وراجع أيضًا كتاب «الجامع» لابن المشري، فإنه تعرض فيه أيضًا لهذه الوحدة وبيانها نقلاً عن شيخه المذكور.

الثالثة: وحدة الوجود الذي به يتحقق حقيقة كل موجود: وهي وحدة الحق سبحانه ومعناها أن الوجود من حيث هو حقيقة واحدة وهي لله تعالى وحده لا مشارك له فيها فهو الموجود على الإطلاق ووجود هذه الكائنات إنما كان باستنادها إليه واستمدادها منه واستنشاقها لروائح الوجود من وجوده وإشراق شعاع وجوده عليها فهي موجودة بهذا الوجود الذي له تعالى لا بوجود آخر ثان فلم تكن غيرا من كل وجه لأن الغير في عرفهم هو الذي يكون له الوجود من ذاته ويتصور أن يكون له بنفسه قوام وهي وجودها ليس من ذاتها ولا يتصور أن يكون لها قوام بنفسها.

وقد قال الشيخ الأكبر في كتاب «التجليات» له: من لم يكن له وجود من ذاته فمنزلته منزلة العدم وهو الباطل قال: وهذا من بعض الوجوه التي بها يمتاز الحق تعالى عن الخلق وهو كونه موجودا أعني وجوده من ذاته انتهى. كما أنها ليست عينًا لما بين التقييد والإطلاق من تقابل التضاد، وعليه فإثبات الوجود لها توهم لأنه يتوهم الجاهل بحالها وحقيقتها أن لها وجودًا وفي الحقيقة ونفس الأمر ما ثم إلا وجوده تعالى لأن به ظهرت الأشياء كلها.

أيضًا (**أن ذلك الوجود**) الحق (**ليس**) هو (**بمعنى التحقيق**) يقال: وجد الشيء إذا تحقق، وأوجده: أثبته وحققه (**ولا هو**) أيضًا (**بمعنى الحصول**) الذي هو مصدر حصَّله إذا أوجده، وليس أيضًا عبارة عنه الكون.

والحاصل أن الوجود مشترك بالاشتراك اللفظي بين كونه بمعنى التحقق، وكونه بمعنى الحصول، وكونه بمعنى الكون، وكونه بمعنى الحقيقية الآتي بيانها لا يصح إرادة الأولين (**لأنهما**) كالثالث (**منه المعاني المصدرية**) والماهيات المعقولة والأعيان الثابتة (**فليسا بموجودين في الخارج**) كالثالث (**فلا يصح**) ولا يجوز (**أن يطلق لفظه بهذا المعنى**) أي: بإزاء كل منه تلك المعاني المتقدمة.

(**على الحق**) تعالى (**الموجود**) بتقاديره، وتصاويره (**في الخارج**) والشهادة (**تعالى**) وتقدس (**عنه ذلك**) الإطلاق (**علوًّا كبيرًا**) أي: عظيمًا، إذ لو كان كذلك لكان منه جملة الأعيان الثابتة، وهي في نفسها معدومة، وكذلك لا يصح إطلاق تلك المعاني إذا أريد بها التحقيق والحصول والكون في الخارج؛ لأنها حينئذ أعراض ضرورة، وقد تقدم أنه ليس بجوهر ولا عرض، فقوله: ليسا موجودين في الخارج يحتمل أن يريد به أنها منه الأعيان الثابتة منه حيث كونها كالثالث مفهومين كليين شاملين لكل تحقق، وحصول كان ويكون، فيكونان منه الأعيان الثابتة، وسيأتي أنها ما شمت رائحة الوجود، ويحتمل أن يكون المراد بها كالثالث أفرادهما الموجودة في الخارج، وهي أعراض، فلا وجود لهما بأنفسهما أيضًا، فقوله: ليسا موجودين في الخارج يكون معناه: إما رأسًا، فيكون بالمعنى الأول، وإما استقلالاً، فيكون بالمعنى الثاني، هذا إذا أريد بها تلك المعاني، وأما إذا أريد بها ما يراد بلفظ الوجود، فلا نزاع في صحته؛ إلا أنها لم تستعمل في لسان القوم بذلك المعنى، إما لشهرة الوجود، أو لكونه أنص منها، فتعين الرابع، وهو ما أشار إليه بقوله.

(**بل عنينا**) وقصدنا (**بذلك الوجود الحقيقة المتصفة بهذه الصفات**) المغايرة لسائر الحقائق بالشكل والذات (**أعني**) بالصفات (**وجودها**) أي: الحقيقة (**بذاتها**) من غير افتقارها واستنادها إلى مؤثر في وجودها (**ووجود سائر الموجودات**) أي: باقيها (**بها**) أي: بسبب وجودها أي: هي متصفة بعدم الشكل ابتداءً وانتهاءً، وأنها حقيقة جميع الموجودات وباطنها، وأن جميع الكائنات لا تخلو عنها، وأن وجودها بذاتها ووجود سائر الموجودات بها (**وانتفاء غيرها في الخارج**) والشهادة بدونها، بل هو

عدم محض لا وجود له إلا بها (و) اعلموا أيضًا (**أن ذلك الوجود**) الحق (**من حيث الكنه**) أي: من جهة كنهه وحقيقته (**لا ينكشف**) ولا يبدو (**لأحد**) كائنًا من كان، وإنما ينكشف لا بالكنه كما مر (**ولا يدركه**) ويحققه (**العقل**) الروحاني النوراني.

(**ولا الوهم**) العقل الطبيعي الجسماني (**ولا الحواس**) جمع: حاسة سواء الظاهرة والباطنة عند القائل بها؛ لأن جميع ما ذكر موجود به معدوم في نفسه، والمعدوم لا يدرك الموجود إذ لا يناسبه، فلا يمكن إدراك (**ولا يأتي**) لأحد أن يدركه (**في**) حكم (**القياس**) اللغوي، وهو حمل أمر **على** أمر لأمر جامع، ولا العقلي بأنه يرتب قضايا منه أي: شكل لاستخراج مجهول (**لأن**) المرتب والمرتب، بل (**كلهن**) من عقل ووهم وحواس وقياس (**محدثات**) أحدثها الوجود الحق (**والمحدث**) أي: وشأنه أنه (**لا يدرك بالكنه**) والحقيقة (**إلا المحدث**) الذي هو مثله، وأما إدراك المحدث القديم، فلا يتصور فلو قلنا: إن ذاته وصفاته لا يدرك كنهها المحدث لزم أمران: إما قدم المحدث، وإما حدوث الذات والصفات، والكل باطل.

(**فتعالى**) وتنزه (**ذاته**) (**وصفاته عن المحدوث علوًّا كبيرًا**) ثم لتعلم إياك أن تطلب الوجود الحق منه حيث الكنه، فيضيع تعبك إذ حقيقته اللا تعين والإطلاق والذات الخالص، ولم يصل إليه أحد، فكيف تروم الوصول إلى ما لا وصول إليه؟! (**ومن أراد معرفته**) تعالى (**من هذا الوجه**) أي: منه حيث حقيقته (**وسعى**) واجتهد (**فيه**) حق السعاية (**فقد ضيع وقته**) وأنفق عمره فيما لا يدركه، فيكون كحاطب ليل؛ إذ شأن هذه المرتبة كما قدمنا لا يمكن لأحد الوصول إليها، إذ لو وصل أحد إليها لم يبقَ أحديتها، وقد نبه هو على ذلك بقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، وبقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الزمر:٦٧].

فنبَّه العباد تعطفًا منه ورحمة؛ لئلا يضيعوا أعمارهم فيما لا يمكنه حصوله، نعم يمكن الوصول إلى مرتبة الوحدة المسماة بـ«**الحقيقية المحمدية**» لمن كان على اتباع النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وباعتبار ما قدمنا.

قال الشيخ الأكبر. رحمة الله عليه -: الصحيح أنه لا وصول إلى الله أصلاً، وإنما الجميع سائرون وسيرهم متفاوت أي: على حسب الاستعداد، فبعضهم إلى

مرتبة الوحدة، وبعضهم إلى الواحدية.

(و) اعلموا أيضًا **(إن لذلك الوجود مراتب)** جمع: مرتبة، وهي كما قيل: أمر اعتباري تعتبره النفس لمن قام به **(كثيرة)** أَنْهَاهَا سيدي الشيخ عبد الكريم الجيلي إلى أربعين مرتبة[1]، وما في هذه العجالة سبع على طريقة الاختصار **(المرتبة**

---

(١) قال الشيخ البسنوي: واعلم أن المراد من بيان مراتب الوجود بيان انبساط الفيض الوجودي، والتجلي الرحماني الجودي على المراتب العمائية الغيبية والحضرات الإلهية الأسمائية، وإظهار أعيانها من حقائقها وذواتها، وإيجاد المراتب الروحية الفعلية والنفسية والهبائية إلى غاية عالم الأمر، ثم المراتب الخلقية من العرش والكرسي والفلك الأطلس وفلك المنازل الذي هو نهاية عالم الطبيعة النورية وعالم البقاء، ثم خلق الأرض، ثم خلق الماء العنصري، ثم الهواء، ثم النار، ثم خلق السماوات السبع وأفلاكها، ثم خلق الجماد، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم الملائكة، ثم الجن، ثم الإنسان وهو آخر المخلوقات، فهذه المراتب الإلهية والخلقية ظهرت وتعينت في التجلي الوجودي، والنفس الرحماني الجودي المنبعث من باطن التعين الأول، وهو أن لا تعين والغيب المطلق، وظهر التجلي وتعين أيضًا في حقائق تلك المراتب، فتعين النفس الرحماني بحسبها وظهرت هي فيه على حسب حقائقها، ولما كان مراد الحق من انبساط النفس الرحماني من باطن التعين الدال على حقائق الممكنات لإيجاد المراتب الوجودية حصول المعرفة الإلهية بالنسبة إلى العبد، وكمال الجلاء والاستجلاء بالنسبة إليه تعالى، وهي الصورة الكمالية الإنسانية، والجمعية الكلية المحمدية التي فيها تظهر تلك الجمعية الذاتية العمائية، وبها يحصل كمال الجلاء والاستجلاء للصورة الأحدية الذاتية؛ فحينئذ يكون لمراتب الوجود اعتبارات ثلاثة:

الأول: نفس المراتب وتعينها، وتميز بعضها عن بعض، فيكون ترتيب المراتب الإلهية والكونية على حسب التجلي الإلهي إلى آخر المراتب وبيانها.

والثاني: اعتبار كيفية امتداد النفس الرحماني والتجلي الوحداني على المراتب الإلهية والكونية، فيكون المراد من المراتب مراتب الوجود العام الممتد من الغيب المطلق إلى آخر مراتب الظهور: وحينئذٍ لا يكون الغيب المطلق مراتب الوجود لامتداد التجلي العام منه وعدم تعينه فيه، وانبساطه على المراتب الإلهية والكونية. **والثالث:** اعتبار مراتب الوجود المطلق الذي امتد من غيب التعين الأول بالصورة الذاتية التي في باطنه، وعبوره على المراتب الإلهية والكونية إلى بلوغه إلى الصورة الجمعية الإنسانية التي هي آخر المراتب، وحصوله في الصورة الكلية الكمالية المحمدية التي تقابل الحضرة، وتظهر فيها الصورة الأحدية الذاتية، والصورة الجمعية الأسمائية، ويحصل بها وفيها كمال الجلاء والاستجلاء، فباعتبار كون الوجود عين ذات الحق وحقيقته، يجوز أن يكون الغيب المطلق أول مراتب الوجود في حق الحق عين ذاته، لكن المراد من مراتب الوجود مراتب تنزلات الوجود =

الأولى) من السبعة (**مرتبة**) المسماة (**بأن لا تعين**) أي: عدم التعين.

(**و**) تسمى أيضًا (**بالإطلاق**) الحقيقي الذي ليس في مقابلته قيد، إذ ما قابل القيد إطلاق مجازي؛ إذ هو في الحقيقة مقيد بكونه عدم القيد (**و**) تسمى أيضًا (**الذات البحث**) بالتاء المثناة الفوقية أي: الصرف (**ولا**) نعني بكلامنا أن لا تعين، والإطلاق (**معنى إن قيد الإطلاق**) في قولنا: الإطلاق (**وسلب التعين**) في قولنا: أن لا تعين، ففي كلامه لف ونشر غير مرتب.ثابتان وحاصلان (**في تلك المرتبة**)؛ إذ لو كان كذلك لم تكن مطلقة إطلاقًا حقيقيًا (**بل**) كان (**بمعنى**) (**أن ذلك الوجود في تلك المرتبية**) المسماة بالإطلاق، وما بعده (**منزه**) ومقدس (**عن إضافة**) ونسبة (**النعوت إليه**) تعالى، إذ لا ناعت حينئذ، وأنه كان متخلقًا بها في الواقع (**و**) كذلك (**هو**) (**مقدس**) منه التقديس، وهو التطير (**عن كل قيد حتى عن قيد الإطلاق**) وما بعده (**أيضًا**) كما نُقدس عنه إضافة الصفات إليه، إذ حقيقته العمى المفسر في الحديث: «**بما فوقه هواء، وما تحته هواء**»[1] يعني: ما فوقه صفة، ولا تحته نسبة، ولا صفة.

(**وهذه المرتبة تسمى**) أيضًا بالمرتبة (**الأحدية**)[2] ويعبر عنها بالغيب المطلق،

=

المنبسط من باطن التعين الأول، أعني: أن لا تعين لإظهار الكمالات الأسمائية المستهلكة في الوحدة الذاتية، وحصول كمال الجلاء والاستجلاء بالنسبة إلى حضرة الجمع الإلهي. انظر: [القرى الروحي الممدود شرح نظم مراتب الوجود]، بتحقيقنا.

(١) رواه أحمد في المسند (١٦٦٢٩).

(٢) **الأحدية**: هي اعتبار الذات من حيث لا نسبة بينها وبين شيء أصلاً ولا شيء إلى الذات نسبة أصلاً، ولهذا الاعتبار المسمى بالأحدية تقتضي الذات الغنى عن العالمين؛ لأنها من هذه الحيثية لا نسبة بينها وبين شيء أصلاً. ومن هذا الوجه المسمى بالأحدية يقتضى أن لا تُدرَك الذاتُ ولا يحاط بها بوجه من الوجوه لسقوط الاعتبارات عنها بالكلية، وهذا هو الاعتبار الذي به تسمى الذات أحدًا كما عرفت، ومتعلقه بطون الذات وإطلاقها وأزليتها، وللأحدية صنوف منها: **الأحدية الذاتية**: هي ما عرفته من اعتبار الذات من حيث لا نسبة لها إلى شيء أصلاً، ولا لشيء إليها نسبة بوجه ولا تُدرك ولا تُحاط بها بوجه، والذات باعتبار هذه الأحدية تقتضي الغنى عن العالمين، **والأحدية الصفاتية**: يعنى بها اعتبار الذات من حيث اتحاد الأسماء والصفات فيها، وانتشاؤها عينها، وهذا الاعتبار يسمى بواحدية الذات أيضًا، وبهذا الاعتبار تتحد الأسماء على اختلافها. ويدل كل اسم منها عليها، وإن فهم منه معنى

=

وبغَيْبِ الغَيْبِ، وبالذات الإلهية الساذجة، وبمنقطع الإشارات، وبحقيقة الحقائق، وبحضرة الجمع، وبحضرة الوجود، وبمجهول النعت، وقد عجزت العبارات دونها، وانقطعت الإشارات قبل الوصول إلى سرادقات حرمها، وتسمية بعضهم لها بالظلمة معناه: أنها مجهولة منه جميع جهاتها لا طريق إلى معرفتها.

تنبيه: تعريف الشيء بأحد أسمائه جائز إذا كانت له أسماء متعددة كل منها

=

يتميز به عن غيره من الأسماء، **وأحدية الأسماء**: هي الأحدية الصفاتية كما عرفت، **والأحدية الفعلية**: يعنى بها رفع الوسائط في الأفعال، ورؤيتها كلها فعل الحق تعالى وحده، وينبغي أن تعلم أن لهذه الأحدية الفعلية اعتبارين: **أحدهما**: سقوط اعتبار الوسائط، وهذا حال المُسْتَهلكين، **وثانيهما**: اعتبار الأحدية المشهودة لصاحب مقام الأكملية التي باعتبارها يكون المراد برفع الوسائط، التمييز بجهة انتساب الفعل إلى الحق عن جهة انتسابه إلى الخلق؛ لأن المراد برفع الوسائط في نظر الكامل سقوط اعتبارها؛ لأن ذلك حال المستهلكين كما عرفت، **أحدية الجمع**: ويقال: حضرة أحدية الجمع، ومرتبة أحدية الجمع، والمراد بذلك: أول تعينات الذات، وأول رتبها الذي لا اعتبار فيه لغير الذات فقط كما هو المشار إليه بقوله ﷺ: «**كان الله ولا شيء معه**» وذلك لأن الأمر هناك؛ أعني: في مرتبة أحدية الجمع وحداني؛ إذ ليس ثَمَّ سوى ذات واحدة مندرج فيها نسب واحديتها التي هي عين الذات الواحدة، فهذه النسب وإن ظهرت بصور الأوصاف في المرتبة الثانية التي هي حضرة تفصيل المعلومات وتميزها، إنما يجمعها وصفان هما: الوحدة والكثرة، ولكونهما صورتي نسبتين من نسب الذات الجامعة المجتمعة غير المفرقة، والمتفرقة لم تكن التفرقة الحاصلة بهذين الوصفين تفرقة حقيقية في نفس الأمر، فتصير تلك التفرقة مشتتة لشمل جمعية الذات؛ لأنهما نسب الذات في أول رتبها المحكوم فيه بنفي الغير والغيرية هناك، فهي؛ أعني: تلك النسب والإضافات أوصاف محكوم بالتفرقة بينها وبين الموصوف بها في الرتبة الثانية، فهي من حيث باطنها الذي هو شؤون الذات هي عين الذات لا غيرها؛ إذ لا غيرية ولا مغايرة هناك؛ لأنها ليست هي، ثَمَّ أوصافًا للذات، بل هي عين الذات، فهذا هو مقام أحدية الجمع الذي لا تصح فيه رؤية تفرقة بين الذات من حيث تعينها، وبينها من حيث إطلاقها، أو قل بينها من حيث حقيقة الحقائق، وبينها من حيث التجلي الأول لعلو هذا المقام الذي هو مقام أحدية الجمع، وفرقيته على جميع مراتب التفرقة فرقية بها يصير الوصف والموصوف، أو قل الذات وشؤونها عين ذات واحدة بلا مغايرة ولا غيرية؛ ولهذا كان من ترقى سره عن التأثر بمراتب التفرقة والتقييد بثمراتها، والانحجاب برؤيتها إلى حضرة أحدية الجمع عند تمام حياته الحقيقية، وعن جميع أحكام الكثرة والغيرية لم يبقَ من حقيقته شيء سوى هذه الحقيقة الأحدية.

يدل عليه، ولما كانت هذه المرتبة مجهولة لكل أحد معروفة بين القوم بأسمائها عرفها بما ذكر (و) هذه المرتبة (**هي كنه الحق سبحانه وتعالى**) وحقيقته؛ ولذا كانت مجهولة منه كل وجه (و) لذا (**ليس فوقها مرتبة أعلى**) منها (بل) كان (**كل المراتب تحتها**) أي: أدنى منها.

(**والمرتبة الثانية**) منه المراتب السبعة (**مرتبة التعين الأول**) والتجلي الأول (**وهي عبارة عن علمه تعالى**) كل موجود منه (**ذاته وصفاته ولجميع الموجودات**) علمًا فعليًّا (**على وجه الإجمال**) لا التفصيل أي: (**من غير امتياز**) وافتراق (**بعضها عن بعض**) فيصدق على كل أنه عين الآخر؛ ولهذا سماها بعضهم بمرتبة الهوية؛ لكونها غيب الأسماء والصفات في الشأن المخصوص بالذات (**وهذه المرتبة تسمى**) بين القوم (**بالوحدة**) لعدم التمييز والافتراق، لا بمعنى أن المخلوقات ذوو وجود حالين في الذات كلا، بل بمعنى نشو إرادة الخلق لهم، فهم متحدون بها اتحاد قصد وعزيمة، إذ لا وجود لأحد حينئذ غير كونه معلومًا علمًا فعليًّا كما مر، وتسمى أيضًا هذه المرتبة بالعلم المطلق بالشأن الصرف وبالعشق المجرد عن نسبة العاشق والمعشوق (**وبالحقيقة المحمدية**) المنسوبة إلى محمد ﷺ التي هي فلك الولاية ومقام التقدير، وسبب نسبتها إلى النبي ﷺ ما نقله القسطلاني في «المواهب» أن عبد الرزاق روى بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ قال: قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال: «**يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة، ومن الثالث نور ألسنتهم وهو التوحيد لا إله إلا الله**

محمد رسول الله»[١].

فلما كان ﷺ هو أول وجود في التعين الثاني علم أنه أول مراد في التعين الأول، فالله تعالى كما قال الغزالي: يقدر ثم يوجد على وفق التقدير فهو ﷺ الأب الأكبر كما مر وتحرر[٢].

---

(١) روي في الجزء المفقود من مصنف عبد الرازق حديث رقم (١٨)، والمطبوع حديثًا بدمشق، وهو حديث صحيح، وقد أورده الشيخ الأكبر قدس سره في كتابه تلقيح الأذهان (مخ بدار الكتب ١٧أ) بنفس اللفظ، وأخرجه بمعناه الخركوشي في «شرف المصطفى» (٧٠٣/١) عن علي كرم الله وجهه، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٣١١/١)، فقال: رواه عبد الرازق بسنده عن جابر بن عبد الله ﷺ، والقسطلاني في المواهب اللدنية (٧١/١)، وقد أفرد الكثير من علماء الإسلام كتبًا خاصة في إثبات أوليته ﷺ وأنه منه خلق الله العوالم بأسرها منها: كتاب «أسبقية النور المحمدي» للعارف سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني ﷺ، وكتاب «صلاة الصفا في نور المصطفى» ﷺ لإمام أهل السنة العلامة أحمد رضا خان القادري ﷺ، وكتاب «جلاء الصدور بأولية النور» للشيخ علي السلاموني، وكتاب «نور البدايات وختم النهايات» للشيخ عيسى بن مانع الحميري، وغيرها الكثير؛ فضلاً عن مباحث كثيرة في جُل كتب الشمائل، وبينوا وجه الجمع بين الأحاديث الواردة في الأولية، ومن كلامهم: أن الأولية نسبية فكل شيء أول بالنسبة لما جانسه أو شابهه، ونور سيدنا ومولانا ﷺ هو الأول في الخلق على الإطلاق.

(٢) أولية سيدنا ومولانا ﷺ ثابتة بدلائل من الكتاب والسنة المطهرة، وقد أُفرِدَت فيها جملة من المصنفات - فضلًا عما هو مبسوط في كتب الشمائل والسير - منها: «**أولية النور المحمدي**»، «**رسالة في أبوته ﷺ للمؤمنين** [ط. العلمية بيروت]» (كلاهما للعارف المحمدي الشهيد سيدي أبي الفيض محمد بن سيدي عبد الكبير الكتاني ﷺ)، وكتاب «**نور البدايات وختم النهايات**» للشيخ عيسى بن مانع الحميري، وكتاب «**جلاء الصدور بأولية النور**» للشيخ علي السلموني المصري، وشرح أنوار النبي - أنواعها وأسرارها - لابن سبعين - شرح الفقير المزيدي، وغيرها كثير مما قام به الدليل كتابًا وسنة على صحة ما تداولته الأمة من خلق العالم من نور سيدنا ومولانا ﷺ بحيث لا يماري في ذلك إلا جاهل، ولنشرب كأسًا من تلك التسنيمات المحمدية؛ فنقول: العمدة في هذا الباب - شهرة - هو حديث سيدنا جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنه - الذي رواه عبد الرزاق في المصنف في الجزء المفقود منه، ولما لم يكن الحديث موجودًا في النسخ المشهورة من المصنف كان هذا سببًا للطعن فيه والقول ببطلانه، حتى حكم بذلك بعض الحفاظ - مع إثباتهم الأولية المحمدية بغير هذا الحديث - وليس هذا الحال خاصًا بالمصنف بل هذا حال جملة من =

(**المرتبة الثالثة**) من السبعة (**مرتبة التعين الثاني**)، والتنزل الثاني (**وهي عبارة عن علمه تعالى**) كل موجود أيضًا من (**ذاته وصفاته**) (**وجميع الموجودات**) ولكن علمًا انفعاليًا.

(**على طريق التفصيل و**) على طريق (**امتيانه**) وانفصال (**بعضها عن بعض**)، فتنتفي العينية، وتثبت الغيرية.

ومنها: تنشأ الكثرة بداية، وفيها تنعدم وتتلاشى نهاية، وفيها تظهر الأسماء والصفات، وكذلك كل مظهر إلهي بالوجود الذاتي لا بوجوده (**وهذه المرتبة تسمى بالواحدية والحقيقة الإنسانية**) لما مرَّ من أن آدم كان فيها جلاء المرآة، فهي حقيقته ومنشأه (**فهذه ثلاث مراتب**) الأحدية والوحدة والواحدية.

(**كلها قديمة**)؛ إذ هي صفاته تعالى، فيلزم من قدمه وقدمها، فبجملتها اتصف بالصفات السبعة وبغيرها، فإن قيل: إذا كانت قديمة، فما معنى ترتيبها وتقديم بعضها على بعض مع أنه يلزم منه قدم السابق وحدوث اللاحق؟

قلنا: ليس مقصودنا بهذا التقدم والتأخر باعتبار الزمن حتى يلزم ما ذكرت، وإنما مقصودنا به باعتبار العقل حتى يحصل له التمييز، وانفصال كل مرتبة عن

=

أم لا؟ فقال الحافظ أبو يعلى الهمداني: الأصح أن العرش قبل القلم، لما ثبت في «الصحيح» عن ابن عمر قال: قال ﷺ: «**قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**». فهذا صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، فحديث عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعًا: «**أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء**» رواه أحمد والترمذي وصححه، وروى أحمد والترمذي وصححه أيضًا من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعًا: «**إن الماء خلق قبل العرش**»، وروى السديّ بأسانيد متعددة: «**إن الله لم يخلق شيئًا مما خلق قبل الماء**»؛ فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور النبوي والماء والعرش. انتهى. وقيل: الأولية في كل شيء بالإضافة إلى جنسه، أي: أول ما خلق الله من الأنوار نوري وكذا باقيها، وفي «أحكام» ابن القطان فيما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «**كنت نورًا بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام**»، وانظر تفصيل المسألة في ما أشرنا إليه من المصنفات، وكذا كتب الشمائل، وخاصة «العلم المحمدي» أو«جلاء القلوب» [ط. العلمية بيروت] للإمام محمد بن جعفر الكتاني ﷺ وكذا «المواهب» وشروحها.

الأخرى، فيعتبر أولاً الأحدية، فالوحدة، فالواحدية، ولما استشعر - رحمه الله تعالى - هذا الإيراد أجاب بقوله (**والتقديم والتأخير فيها عقلي لا زماني**).

فإن قلت: أي عقل عنا قلت الطبيعي الجسماني، لا الملكي الروحاني؟ إذ قد قرروا أنه لا تيه معه، ولا لبس، بل تنكشف به الموجودات عن حقائقها.

(**والمرتبة الرابعة**) من السبعة هي (**مرتبة الأرواح هي عبارة عن الأشياء**) جمع: شيء بمعنى اسم المفعول (**الكونية**) المنسوبة إلى الكون، أو إلى قوله: «كن»؛ إذ هي من الإبداعيات الكائنة بكن من غير مادة، وتولد كأعضاء حينئذ، فهي (**المجردة**) عن المادة (**البسيطة**) التي لا تركيب فيها المبهمة في ذاتها، فلا تتميز ولا تدرك إلا بما تحمله من الإدراكات والمعارف (**التي ظهرت**) وانكشفت باعتبار ما تحمله (**على ذواتها وعلى أمثالها**) فتعرف نفسها، ويعرف بعضها بعضًا التي توجهت على تدبير الأشياء وأحيائها كتوجه الشمس على ما أشرقت عليه، وقد مرَّ أن هذا تعريف للحكماء وبعض الصوفية، وأن الجمع ممكن فتفطن.

(**والمرتبة الخامسة**) من السبعة (**مرتبة عالم المثال**) ويقال له: العالم المثالي بياء النسبة، أيضًا سُمي بذلك إما لكونه مشتملاً على صور ما في العالم الجسماني؛ ولكونه أول مثال صوري لما في الحضرة الإلهية من صور الأعيان والحقائق (**وهي**، أي: مرتبة عالم المثال[1].

(**عبارة عن الأشياء**) الروحانية (**الكونية المركبة**) من جواهر نورانية شبيهة بالجواهر الجسمانية في كونها محسوسات مقدرات بالجواهر المجردة العقلية في كونها نورانية، فليست بجسم مركب مادي، ولا جوهر مجرد عقلي، بل هي (**اللطيفة التي لا تقبل التجزؤ**) ولا تقبل (**التبعيض ولا**) تقبل (**الخرق و**) لا تقبل (**الالتئام**) لِلَطَافَتِهَا، فعالم المثال برزخ وحدّ فاصل بين الأجسام المركبة المادية، وبين الجواهر المجردة العقلية، فهو غيرهما، إذ كل برزخ بين شيئين لا بد أن يكون كذلك إلا أن له جهتين شبه كل منها ما يناسب عالمه كما مرّ.

واعلم أنه كما يسمى بعالم المثال والعالم المثالي، يُسمى أيضًا بالخيال

(١) اعلم أن لعالم المثال مرتبة مرتبة، وهي مرتبة وجود الأشياء الكونية المركبة اللطيفة، التي تقبل التجزئة والتبعيض والخرق والالتئام..

المنفصل؛ تشبيهًا له بالخيال المتصل في كونه مادي، وهو عالم يشتمل على الكرسي والسموات السبع والأرضين وما بينهما؛ ولهذا قال أرباب الكشف: إن العالم الحسي بالنسبة إلى العالم المثالي كحلقة ملقاة في بيداء لانهاية لها، فكل ما هو موجود في العالم الحسي موجود في العالم المثالي دون العكس، وأن المثالات المقيدة المعبر عنها بلسان الحكماء بالحس المشترك الكائن في البطن الأول من الدماغ هي أنموذج منه، وظل من ظلاله، خلقه الله دليلاً على وجود العالم الروحاني، بل جعلها أهل الكشف متصلة به، ومستنيرة من اتصال الجدول بالبحر، واستنارة البيت من كوة الضوء، وهو الصراط المستقيم لمن عبر عليه من حيث إنه يصيب، وفي جميع ما يشاهد، ويجد الأمر على ما هو عليه بخلاف ما يشاهد في الخيال المتصل، فإنه يصيب تارة، ويخطئ أخرى، فإن كان أمرًا حقيقيًا أصابه أو غيره، فهو اختلاف صدر من تخيل فاسد، كما تخيل أن للبارئ شريكًا، وغير ذلك مما لا حقيقة له في الواقع على أن الإصابة الخيال المتصل(١)، وخَطَؤُهُ أسباب: إما أسباب الإصابة، فهي التوجه التام إلى الحق والاعتياد بالصدق، وميل النفس إلى العالم الروحاني وطهارتها عن النقائض، وإعراضها عن الشواغل البدنية، واتصافها بالمحامد الإلهية، فهذه الأشياء تُوجب تنورها وتقويها بالتشكيك لا بالتواطؤ على حسب الاستعداد.

---

(١) **قال الشيخ الأكبر**: فمن لا يعرف مرتبة الخيال فلا معرفة عنده جملة واحدة، وإذا لم يحصل للعارف فما عنده من المعرفة رائحة بل ورد **«الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»** أي: كل شيء أدركتموه في هذه الدار، فهو مثل إدراك النائم، بل هو إدراك النائم في النوم وهو خيال ولا تشك أن الناس في البرزخ بين هذه الدار والدار الآخرة وهو مقام الخيال، فانتباهك بالموت كمن يرى أنه استيقظ في النوم في حال نومه فيقول في النوم: رأيت كذا وكذا، وهو يظن أنه قد استيقظ ويعضد هذا الخبر قوله تعالى في حق الميت: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢] أي: فتدرك ما لم تكن أدركته بالموت فهو يقظة بالنسبة لما كنت عليه في حال الحياة الدنيا، ثم إن الميت إذا بعث في النشأة الآخرة يقول: ﴿بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا﴾ [يس:٥٢]، فكان كونه في مدة نومه كالنائم في حال نومه مع أن الشارع سماه يقظة، وهكذا كل ما تكون فيه لا بدَّ لك من الانتقال عنه، وأطال في ذلك. [مختصر الفتوحات للشعراني] بتحقيقنا لأول مرة.

وأما أسباب الخطأ فهي ما يخالف ذلك من سوء مزاج الدماغ، واشتغال النفس باللذات الدنيوية، واستعمال القوة المخيلة للتخيلات الفاسدة، والانهماك في الشهوات، والحرص على المخالفات، فهي توجب ظلمتها، وازدياد الحجب، وإذا عرضت النفس من الظاهر إلى الباطن بالنوم تتجسد لها هذه المعاني، فيشغلها عن عالمها الحقيقي، فتقع مناماتها أضغاث أحلام لا يعتني بها.

(**والمرتبة السادسة**) من السبعة: (**مرتبة عالم الأجسام وهي**) بخلاف ما قبلها من كونها (**عبارة عن الأشياء الكونية**) الظاهرة للحواس الظاهرة المركبة من العناصر الأربعة (**الكثيفة التي**) لها جرم يحجب البصر عن إدراك ما وراءها، فهي إذًا (**تقبل التجزؤ والتبعيض**) وتدرك بالحواس الظاهرة (**والمرتبة السابعة**) وهي الخاتمة لهذه المراتب (**المرتبة الجامعة**) لمعاني (**جميع المراتب المذكورة**) سابقًا لا فرق منها بين (**الجسمانية**) منها، وهي قسمان: اللطيفة، وهي مرتبة عالم المثال، والكثيفة، وهي مرتبة عالم الأجسام.

(**والنورانية**) وهي قسمان أيضًا: مطلقة قديمة، وهي مرتبة الوحدة، ومقيدة حادثة، وهي مرتبة الأرواح المجردة كذا جعل بعض الشراح مرتبة عالم المثال الجسمانية، وفيه نظر يعلم مما تقدم اللهم (**إلا أن يقال: إنه جسم نوري في غاية ما يمكن من اللطافة، وحينئذ يكون حدًّا بين الجواهر المجردة اللطيفة، وبين الجواهر المادية الكثيفة و**) جامعة أيضًا لمرتبة (**الوحدة والواحدية**) القديمتين لما مرّ (**وهي التجلي**) الوجودي والانكشاف (**الأخير**) الذي ليس بعده انكشاف (**واللباس**) الذي ظهر به الحق، وعرفه به الخلق.

ولا يخفى عليك أن تسميته المظاهر لباسات مجاز لا حقيقة (**الأخير**) إذ ما قبلها تجليات ولباسات؛ إلا أن هذا التجلي أظهر وأتم من غيره؛ لشموله جميع ما تقدم (**وهي**) الإنسان المستعد للنقص والكمال أي: كل إنسان، وبه تمت المراتب، وكمل العالم، وظهر الحق سبحانه وتعالى بظهوره الأكمل على حسب أسمائه وصفاته، فهو أنزل الموجودات مرتبة في الوجود، وأعلاها مرتبة في الكمالات:

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

(**فهذه**) التي ذكرناها (**سبع مراتب الأولى**) من تلك (**مرتبة أن لا ظهور**) كما مر (**والستة الباقية منها هي مراتب الظهور**) فمرتبة الوحدة تظهر بالحقيقة

المحمدية[1]، والواحدية بالحقيقة الإنسانية، ومرتبة الأرواح، وعالم المثال الأجسام والجامعة لجميع المراتب ظاهرة بنفسها، فهذه الستة هي مراتب الظهور **(الكلية و)** لكن الأخيرة منها **(أي من المراتب)** أعني بها **(مرتبة الإنسان إذا عرج)** الإنسان بهمة

---

(١) قال الأستاذ البكري: (**الحَقِيقَة**) على وزن فعيلة، وهي اسم لما أريد به ما وضع له مشتقة من حق الشيء، إذا ثبت بمعنى فاعله، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما في العلامة لا للتأنيث كذا في «التعاريف». والمراد بعلوم الحقيقة: علوم حقائق الأشياء المشار إليها بحديث: اللهم أمر الأشياء كما هي عليه عيانًا، وعلوم الحقائق هي أعلامًا تدركه الخلائق؛ ثم أطلق علم الحقيقة في أكثر المواطن من حيث الإطلاع على علم الباطن، ولما سأل رابع الخلفاء ﷺكميل بن زياد عنها ليفهم المراد منها، قال له مالك: والحقيقة قال: أوَلَسْتَ صاحب سر قال: بلى؛ ولكن ترسخ عليك مما يطفح عليَّ قال: ومثلك نجيب سائلاً، فقال ﷺ: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة.

فقال: زدني فيه بيانًا، فقال: محوًا لوهم مع صحو العلوم، فقال: زدني فيه بيانًا، فقال: نور يشرق من صبح الأزل، فتلوح على هياكل أهل التوحيد آثاره، فقال: زدني فيه بيانًا، فقال: أطف السراج؛ أي: سراج الاستفهام فقد طلع الصبح؛ أي: صبح الأعلام.

وقال سيدي محيي الدين - قدس الله سره - في الباب٦٤ من «فتوحاته المكية» في معرفة الحقيقة: وهي سلب أوصافك عنك بأوصافه؛ لأنه الفاعل بك فيك منك، لا أنت ما من دابة في الأرض إلا هو أخذ بناصيتها:

إن الحقـــيقة تعطـــي واحـــدًا أبـــدًا ... والعقـل بالفكـر ينفـي الـواحد الأحـدا
فالـــذات لـــيس لـــه ثـــان فيـــشفعها ... والكـــون يطلـــب مـــن آثـــاره العـــددا
والكـــل لـــيس ســـوى عـــين محققـــة ... لا أهـــل فـــيها ولا أبـــا ولا ولـــدا

اعلم أن الحقيقة هي ما هو عليه الوجود بما فيه من الخلاف، والتماثل والتقابل إن لم تعرف الحقيقة هكذا وإلا فما عرفت، فعين الشريعة عين الحقيقة والشريعة حق، ولكل حق حقيقة؛ فحق الشريعة وجود عينها، وحقيقتها ما يترك في الشهود منزلة شهود عينها في باطن الأمر، فيكون في الباطن كما هو في الظاهر من غير مزيد؛ حتى إذا كشف الأمر لم يختل الأمر على الناظر؛ ثم قال: فما ثم حقيقة تخالف شريعة؛ لأن الشريعة من جملة الحقائق، والحقائق أمثال وأشباه؛ فالشرع ينفي ويثبت فيقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]، وهو قول الحقيقة بعينه؛ فالشريعة هي الحقيقة، انتهى. وقلت في معنى حروفها:

حـــاء الحقـــيقة تحقـــيق وإتقـــان ... والقـاف قلـب صـفاء مـا فيـه مـن سلـوان
والـــياء ســـر عبـــر الحـــب مجـــتهدًا ... والقـــاف قهـــر الهـــوى إذ ذاك فـــتان
والهـاء هجـر لمـا يقـضي المتـيم عـن ... أحـــبائه فقـــد غيـــر الحـــب وجـــدان

أنيته، وقدرة مثبتة، فغاب عن شهود صورته الظاهرة، وكذلك الباطنة بشهوده مَغْنِيٍّ أن صورته على كل حال، وكذا صور غيره من أفعال موجده الناشئة عن قدرته القديمة بمقتضى مشيئته، ثم استهلك بتقربه بقرب الفرائض (**وظهرت فيه جميع المراتب مع انبساطها**) فيه وفي غيره مما شاكله (**ويقال له**) أي: لذلك الإنسان في عرف القوم (**الإنسان الكامل**) لاتصافه بأوصاف الكمال، وظهور الكمال فيه (و) هذا (**العروج والانبساط**) على الجزئيات (**على الوجه الأتم الأكمل كأنه في نبينا محمد ﷺ ولهذا**) أي: لكون عروجه على الوجه الأكمل.

(**كأنه**) ﷺ (**خاتم**) بفتح التاء بمعنى «الآلة»، وكسرها بمعنى «اسم الفاعل» (**النبيين**) والمرسلين، إذ مدار الختم على الأكملية؛ إذ الشيء قبل كماله لا يختم عليه عادة، فمقام النبوة المحمدية هو مقام الختم، ومقام الأكملية في مقام النبوة. وكذلك مقام ختم الولاية هو الأكملية في مرتبة الإنسان الكامل، فمن كان من الأولياء عروجه على هذا الوجه، فهو خاتم الأولياء؛ إذ هو تابع في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، والتابع مكتسب من المتبوع.

(و) اعلموا أيضًا (**أن**) جميع (**أسماء مرتبة الألوهية**) وهي الأحدية، والوحدة، والواحدية، وأسماؤها هي التسعة والتسعون المبسوطة في غير هذا المحل، وأنه جاز إطلاق بعضها على أسماء مراتب الكون بالاشتراك اللفظي والتجوز كالمصور والمعطي والمانع وغيرها، وتفرق حينئذ بالإضافة والإسناد إلا أنه (**لا يجوز**) لأحد (**إطلاقها على مراتب الكون والخلق**) أي: على أسمائها، وهي مرتبة الأرواح وعالم المثال والأجسام والإنسان (**وكذا لا يجوز**) لأحد العكس، وهو (**إطلاق أسماء مراتب الكون والخلق على مرتبة الألوهية**) وما ورد من ذلك، فهو مجاز لا حقيقة كاليد والوجه تحمل على الغاية، قال شيخنا: وذلك لحفظ سور الشريعة، وهذا هو الفرق بين الصديق والزنديق، فافهم انتهى.

(و) اعلموا أيضًا (**أن لذلك الوجود**) الحق (**كمالين**) اتصف بهما من الأزل. فهما قديمان لا حادثان مكتسبان من كون (**أحدهما كمال ذاتي**) منسوب إلى ذاته تعالى، وقدمه ذكرًا وتعريفًا؛ لتقدم الذات المنسوب إليها على غيرها (**وثانيها كمال أسمائي**) منسوب إلى أسمائه تعالى.

وقياس اللغة أن يقال: اسمي إلا أنها لما كانت بأسرها كمال له تعالى كانت

صيغتها مطلوبة، فأشبهت المفرد، أو أنه لا يجب تجنب اللحن في المحاورات، واختار ذكر الأسماء على الصفات؛ لأنها في عرف الشرع أسماء، وإن تضمنت وصفًا.

قال في «المواقف»: اعلم أن الاسم إما أن يؤخذ من الذات، أو من جزئها، أو من وصفها الخارجي، أو من العقل، ثم قال: وأما المأخوذ من الجزء فمحال عليه لما بينا أن الوجوب الذاتي ينافي التركيب، وأما المأخوذ من الوصف الخارجي فجائز، ثم هذا الوصف قد يكون كالعليم، وقد يكون إضافيًا كالماجد بمعنى العالي، وقد يكون سلبيًا كالقدوس انتهى.

ولهذا لم يرد في الكتاب والسنة إلا ذكر الأسماء والصفات إنما تثبت بالإجماع، وهو مصادر لا أسماء، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام (**أما الكمال الذاتي**) فيه لف ونشر مرتب (**فهو عبارة عن ظهوره تعالى على نفسه**) فلم تخف عليه نفسه بالاتفاق خلافًا لمن شذّ، وهو بعض المبتدعة حيث ذهب إلى أن الله تعالى لم يعلم نفسه، واستدل بأن العلم أمر إضافي، فلو علم ذاته لكانت ذاته مضافة إلى نفسه، وإضافة الشيء إلى نفسه محال، قيل له: ذاته تعالى من حيث إنه عالم مغاير له من حيث إنه معلوم، وهذا القدر من التغاير يكفي في هذه الإضافة، فقال: صيرورة الذات عالمة ومعلومة يتوقف على قيام العلم، وهو موقوف على المغايرة، والمغايرة إن كانت موقوفة على صيرورة الذات عالمة ومعلومة يلزم الدور.

فنقول له: قولك العلم أمر إضافي ممنوع، بل هو صفة ذات نسبة، ونسبة الذات إلى الصفة ممكنة سلمنا ما ادعيته، لكن لا نسلم منع كون النسبة إلى الذات نسبة علمية، كيف وأحدنا يعلم نفسه سلمنا مطلقًا! ولكن نثبت المغايرة بوجه آخر وهو صحة العالمية والمعلومية، وذلك لا يتوقف على قيام العلم، فلا يلزم الدور (**بنفسه**) فقط من غير اعتبار أمر خارج من صفة أو اسم؛ لأنه تعالى نور، والنور مظهر غيره، فكيف لا يكون مظهر النفسية (**في نفسه**) لا في غيره من التعينات الخارجية (**لنفسه**) لا لأجل غيره من العلل والأغراض؟ إذ هذا الظهور لا لعلة، ومذهب الأشاعرة، وهو الحق أن أفعاله لا تعلل لشيء من الأغراض والعلل الغائية كما برهن عليه في الكلام (**بلا اعتبار الغير**) فيه (**و**) لا اعتبار (**الغيرية**) فظهر على

نفسه بنفسه في نفسه لنفسه، لا ظهوره على غيره، ولا لأجل غيره حتى يثبت الغيرية، وهي نسبة بين المتغايرين. فقوله: بلا اعتبار..إلخ تصريح بما علم التزامًا.

(**والغني المطلق**) الحقيقي (**لازم لهذا الكمال**) ملازمة اقتضاء، إذ كم كان شأنه ذلك، ويكون في ظهوره محتاجًا إلى شيء بل كل شيء مشاهد له ومعلوم عنده علمًا عينيًا؛ ولذا قال: (**ومعنى الغني المطلق مشاهدته**) تعالى: (**في نفسه جميع الشؤون**) والأمور (**والاعتبارات**) التي اعتبرها من الصفات والأسماء (**الإلهية و**) كذلك الاعتبارات (**الكيانية**) المنسوبة إلى الكيان المرادف للكون من الأرواح وعالم المثال والأجسام والإنسان، فهو مشاهد لها (**مع أحكامها**) فأحكام الإلهية كونها صفات وأسماء جلال أو جمال، وكونها قديمة، والكيانية كونها حسنة أو قبيحة شرعًا أو عقلاً، وكونها حادثة.

(و) مشاهد لها أيضًا مع (**لزومها**) كالارتباط بين الإلهية والكيانية بالخالقية والمخلوقية والقادرية والمقدورية (و) مشاهد لها مع (**مقتضياتها**) أيضًا كتأثير الإلهية وتأثير الكيانية إلا أن تلك المشاهدة (**على وجه كلي**) شامل لها جملة واحدة (**جملي**) لا تفصيلي خارجي، وهذا إنما يكون في الوحدة كما تقدم، وأما في الواحدية، فالمشاهدة فيها علمًا تفصيليًا كما مر، وذلك (**لاندراج الكل من**) الشؤون والاعتبارات الإلهية والكيانية مع أحكامها ولوازمها ومقتضياتها (**في بطون الذات**) وغيبه (**ووحدته**) أي: الذات والتذكير تأدبًا، فكلها اعتبارات محضة لا وجود لها بأنفسها، ولا ذات لها ولا جرم، بل هي محض غيب مندرجة في وحدته. (**كاندراج جميع الأعداد**) جمع عدد، وهو ما ساوى نصف مجموع حاشيته كالثلاثة، فإن فوقها أربعة، وتحتها اثنان، ومجموع الحاشيتين ستة، فالثلاثة مساوية لنصف هذا المجموع، وبهذا يعلم أن الواحد ليس بعدد مع أن الأعداد كلها مندرجة (**في الواحد العددي**) الذي تنشأ منه الكثرة فيها من حيث أن كل فرد منها هو عين ذلك الواحد تجلى، وانكشف في مرتبة اعتبارية غير الرتبة الأولى، فالواحد كثير بمراتب الأعداد، وهو لم يخرج عن وحدته مع تلك الكثرة الاعتبارية، فكذلك الشؤون في الوحدة وما بعدها اندرجت في غيب الذات ووحدته، وكاندراج المعاني في اللفظ الواحد المشترك، فإن ذلك اللفظ إذا أطلق على كل معنى هو اللفظ الأول إلا أنه تجلى في رتبة اعتبارية غير الأخرى، (**وإنما سميت**) مشاهدته تعالى جميع الشؤون

والاعتبارات..إلخ.

(**غني مطلقًا**) عن اعتبار الغير والغيرية (**لأنه تعالى بهذه المشاهدة**) المتعلقة بالشؤون وما بعدها (**مستغنٍ عن ظهور العالم**) وهو ما سواه وتجسمه وإبرازه (**على وجه التفضيل فلا حاجة له تعالى**) حالة حصول المشاهدة المذكورة (**إلى**) إبراز (**العالم وما فيه**) من التجسم وما يتبعه، وذلك (**لأن مشاهدة**) الحق (**جميع الموجودات حاصلة له تعالى عند اندراجه الكل في بطونه**) وغيبه (**ووحدته**) فهو مستغنٍ عن ظهوره، وإلا لزم افتقاره، وهو باطل لثبوت غناه على أن الافتقار آية الحدوث، فإن قيل: إبرازه إلى الشهادة، قلت: تفضلاً منه وتكرمًا: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٣]، فيثيب الطائع بمحض فضله، ويعاقب العاصي ببحث عدله.

(**وهذه المشاهدة**) التي ذكرناها (**تكون شهودًا غيبيًا**) أي: مشاهدة غيبية لما مر في مرتبتها أن العلم فيها للذات والصفات، وجميع الموجودات على وجه الإجمال من غير امتياز بعضها عن بعض، فهي إذًا تكون غيبية المشهود والمعلوم في الشاهد والعالم وعدم تمييزه عنه، وتكون أيضًا شهودًا (**علميًا**) فعليًا كما مرَّ، وذلك (**كشهودك المفصل**) من كل شيء (**في المجمل**) منه حال إجماله كشهودك السرير والباب مثلاً في الخشب (**وكشهودك**) العدد (**الكثير في الواحد**) حال وحدته كما مرَّ في الاندراج.

(و) كشهودك (**النخلة مع الأغصان وتوابعها**) من عرجون وغيره (**في النواة الواحدة**) حالة كونها نواة، فالكل يقال له: شهود غيبي علمي، فالمفضل عين المجمل، والواحد عين الكثير لتكراره، والنواة عين النخلة؛ لكونها أصلها ومنشأها إلا أن ذلك في علم العالم به لا في الخارج (**وأما الكمال الأسمائي**) الذي نسب إلى أسمائه تعالى (**فهو**) في مرتبة التعين الثاني؛ إذ هو (**عبارة عن ظهوره تعالى على نفسه**) بغيره وعبارة أيضًا (**من شهود ذاته**) العلية (**في التعينات**) التي عينها وقدرها (**الخارجية**) عن الحضرة الإلهية (**أعني**) بها كل (**العالم و**) جميع (**ما فيه**) من كل كوني.

(**وهذا الشهود**) أي: شهود ذاته في التعيينات الخارجية (**يكون شهودًا عيانيًا**) ومعاينة، وعلمًا انفعاليًا (**عينيًا**) لا غيبيًا، بل هو (**كشهودك المجمل**) من كل شيء

(في) الشيء **(المفضل)** حال تفصيله (و) كشهودك **(الواحد في)** العدد **(الكثير)** حال كثرته (و) شهودك **(النواة في النخلة وتوابعها)** حال كونها نخلة، إذ المجمل ظاهر في كل فرد من أفراد تفصيله، والواحد ظاهر في كل مرتبة من أعداده من الكثير، والنواة ظاهرة في كل جزء من أجزاء النخلة إذا اعتبرت أن النخلة منشأها النواة(١).

(وهذا الكمال الأسمائي) مخالف للكمال الذاتي، إذ هو **(من حيث التحقق)** وثبوته للذات العلية **(والظهور موقوف على وجود العالم وما فيه)** في الخارج **(لأن معناه السابق)** الذي قدمناه **(لا يحصل إلا بظهور العالم على وجه التفصيل)** لا الإجمال، إذ معنى مشاهدته ذاته في التعينات الخارجية لا يُتصور إلا بإبرازها، وفي هذا الكمال ظهر تأثير الصفات في الخارج.

(و) اعلموا أيضًا **(أن ذلك الوجود)** الحق **(ليس بحال في)** شيء من **(الموجودات)** الكونية، بل الحلول عليه محال، إذ لو جوزناه لانقلب الواجب ممكنًا، والممكن واجبًا بيان أن المتمكن مفتقر إلى المكان، والمكان سابق عليه

---

(١) اعلم أن أرباب القلوب المحققين إمدادهم واغترافهم من باب الشهود، وسر الشهود لا يطلع عليه غير أهله، ولا تزال أرواحهم مسافرة إلى الحضرة المقدسة إليها يأوون، وفيها يسكنون، ولما ذكرنا سفر الروح من الخلق إلى الحق الصرف، فما بقي للغير لا عينًا ولا أثرًا، وقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[غافر:١٦] فلما طلعت شمس الذات الأحدية غربت مظاهر الخلق في شمسها، فكان نظرهم إليها، وهم في ظلها متنعمون، وقوله تعالى: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[النور:٣٥] وهو سر خفي، وفي الحديث الصحيح: «**لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي**»، وقلب المؤمن عرش الله، فحكم باب الجمع شيء واحد، وبيان مراتب الأسرار لا يحتاج إلى تبيين وتعيين، وما يظهر من التجلي يكون فيه الموجب من الفيض الأقدس الشامل لصفة الكمال، وهو المقام الأعظم الفائق على أبناء جنسه، فالولي هو الفاني به، وليس المراد بالفناء انعدام العبد مطلقًا، بل المراد فناء جهة بشريته؛ لمقابلته ومواجهة الحقيقة الربانية، ولا يحصل ذلك إلا بالتوجه التام إلى قبلة وجه الحق، فصار العبد لا يزال طالبًا ومطلوبًا، وإذا صح له الفناء الكلي شهد الحق سبحانه وتعالى، وخاطبه بمخاطبة العارفين به، فهم لازمون الباب، وهو باب واحد، ولا يلتفتون إلى كثرة الأبواب، والجمع يكون واحد لا غير، وهو البقاء بالله، والمراد: التقوى، وهو العمدة ولا يرتفع اليقين إلا بالتقوى. قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾[الحجرات:١٣] وهي درجة عالية جامعة لفنون علوم الطريقين..

والمفتقر إليه، والسابق مقدم على المفتقر، واللاحق والافتقار واللحوق آية الحدوث الذي هو آية الإمكان، والتقدم والسبق آية القدم الذي هو آية الإيجاب بالذات (و) كذا (**لا**) يكون (**متحد بها**) أي: الموجودات الكونية، بل الاتحاد بشيء منها أيضًا محال (**لأن**) كلامه (**الحلول والاتحاد لا بد لهما من وجودين**) وجود الحال ووجود المحل، ووجود المتحد به، والمجموع أربعة (**حتى**) يمكن (**أن يحل أحدهما في الآخر**) حلول الظرف في المظروف (و) حتى يمكن أن (**يتحد أحدهما بالآخر**) اتحاد الهيولي بالصورة بحيث تكون الإشارة إلى كل منهما عين الإشارة إلى الآخر وأنى يمكن ذلك! (**والوجود واحد**) كما قررنا وحررنا وما عداه عدم محض وجد به ولا يتصور هناك وجود آخر لا قديم ولا حادث، أما الحادث فلسبقه بالعدم، ثم اتصافه بالوجود، فنقول: إما أن يكون اتصافه بنفسه وهو محال؛ إذ الشيء لا يكون سببًا لنفسه، ولو جاز لزم ما تقدم الشيء على نفسه ضرورة تقدم السبب على المسبب أو بغيره، فنقل الكلام إليه، فإما أن نرجع ويلزم لدور أو لا، فيتسلسل أو ينتهي إلى قديم، وهو المطلوب.

وأما القديم فلأنه لو كان مثل وجوده تعالى أن يكون إلهًا وهو محال، إذ الدليل الخارجي وهو قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، قطع عرق الشركة، فتعين أن لا وجود قديم غيره تعالى، فهو واحد (**لا تعدد له أصلاً**) لما برهنا عليه (**وإنما التعدد**) حاصل (**في الصفات**) الاعتبارية التي اعتبرها، والتعدد الاعتباري لا يوجب تعددًا حقيقة (**على من يشهد به ذوق العارفين**) بالله وطباعهم السليمة (**ووجدانهم**) وإدراكاتهم المستقيمة.

(و) اعلموا أيضًا (**أن العبودية**) وهي رضا العبد بأفعال الرب (و) كذلك (**التكاليف**) من أمر ونهي (و) كذلك (**الراحة**) في الأولى والأخرى. وكذلك التعب (و) كذلك (**العذاب**) في القيمة الكبرى، فأما الصغرى فهو ما يجده السالك في بدايته، وكذلك عذاب القبر (و) كذلك (الآلام) الناشئة من فساد المزاج (**كلها**) إنما (**ترجع إلى التعينات**) الخارجية التي عينها الوجود الحق، وقدرها.

(و) اعلموا أيضًا (**أن ذلك الوجود**) الحق هو (**محيط**) من الإحاطة، وهي اكتناف الشيء من كل جانب (**بجميع الموجودات**) الكونية، إذ هي مظاهرة كما مر، لكن (**كإحاطة الملزوم**) كالإنسان مثلاً (**باللوازم**) من كونه قابل العلم وصنعة الكتابة

وغيرهما، قال بعض العارفين: كالجيم المركب مثلاً مما يكون هيولي لغيره ومادة له، فإنه محيط بالصور التي تظهر منه كالقطعة من الشمع، فإنها كيفما عركت ظهرت منها صورة، فالصورة لازمة لها، وهي ملزومة للصورة، فهي محيطة بالصورة لا أنها مظروفه فيها، والصور ظرف لها؛ لأن تلك لا تزيد ولا تنقص. انتهى.

(**وكإحاطة الموصوف بالصفات**) كالأعراض اللاحقة للجوهر من صبغ وغيره، فهي كيفيات زائدة عليه لا وجود لها في نفسها، بل الوجود لذلك الجوهر وهو محيط بها معدومة في نفسها، موجودة بوجوده، ولأمكن انفصالها (**لإحاطة الظرف**) وهو وعاء الشيء (**بالمظروف**) الحال فيه على أنها إحاطة حلول - تعالى **الله** من ذلك - وقد تقدم بطلانه.

(**أو كإحاطة الكل بالجزء**) أي: جزئه بحيث يصح أن يحمل الكل **على** جزئه أو العكس، وقد مرَّ بطلانه (**تعالى**) وتقدس **الله** (**عن ذلك**) المذكور من الظرفية والكلية (**علوًّا كبيرًا**).

(و) اعلموا أيضًا (**أن ذلك الوجود**) تعالى (**كما أنه باعتبار محض**) أي خالص (**إطلاقه**) ولا تعينه لا باعتبار الوحدة وما بعدها (**سار في جميع ذرات الموجودات**) الكونية من حيث إنها كما تقدم اعتبارات منه تعالى لا وجود لها في نفسها، ولولا سريان الوجود فيها ما وجدت، وعبر بالسريان مجازًا، إذ حقيقته تقتضي موجودين مستقلين بوجودين، ولا موجود مستقل بوجوده إلا وأحدكما عبر وأبرز نور الوجود أيضًا: (**بحيث يكون ذلك الوجود في تلك الذرات**) التي قدرها في الوحدة، وأبرزها في الحقيقة الإنسانية.

(**عين تلك الذرات**) وما عداه من التعينات الخارجية كالجسم، وما يتبعه إعدام لا وجود لها في نفسها، بل به، فالذات واحدة، والإلباس مختلفة، فلا يذهب عليك أن ما يعتقده جَهَلَةُ أهل الطريق من أن التعينات الخارجية التابعة للوجود كالجسم وغيره هو **الله** - تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا - حق، بل ذلك كفر - والعياذ **بالله** -، فإياك أن تعتقد ذلك، بل اعتقدْ أن الوجود واحد، وأنه عين ذات الموجودات إذ لا ذات له غيرها سوى هذه التشكلات، وهي أمور عدمية اعتبرها الحق وانكشف بها، فلم يبق إلا الوجود، وهو الحق تعالى، **والله** يتولى هداك.

(**كما كانت تلك الذرات قبل الظهور**) أي: ظهورها وبروزها في مرتبة الوحدة

والتعين الأول (**في ذلك الوجود عين ذلك الوجود**) من غير تمييز وانفصال كما مر، فلم يحصل التميز إلا بالتعين، وهو عدمي، قال بعضهم: لأنها فيه أعيان عدمية اعتبرها، فعينها بأعيان أرادها وقدرها بمقادير، والمعدومات لا تغير الوجود الحق عما هو عليه، ثم قال: فلم يخرج عن كونها أعيانًا عدمية، وهو لم يخرج عن كونه وجودًا حقًّا مطلقًا كيفما اعتبر نفسه، وقال سيدي الجيلي: فكما أن الروح مستوية على البدن من غير تخصيص لها بموضع دون موضع من هيكل الإنسان، كذلك الوجود الساري في الموجودات محيط بجميع العالم مستوٍ على جزئياته وكلياته.

ثم قال: وذلك لمن فهم بغير حلول، فالوجود بأسره للحق انتهى.

وإعادة المصنف لفظ الوجود مظهرًا قول الشاعر:

لـيلاي منكنَّ أم ليلى من البشر

(**كذلك الصفات الكاملة**) كذلك الوجود (**باعتبار كليتها**) وكونها أمورًا كلية شاملة لجزئيات صفات الممكنات (و بـ) اعتبار محض (**إطلاقها**) عن التقييد بنوع من أنواع التقييدات الكونية (**سارية**) أيضًا (**في جميع صفات الموجودات**) الاعتبارية، فلا تخلو ذرة من تلك الصفات عن هذه الصفات؛ إذ الصفات الكونية كموصوفاتها أمور عدمية لا وجود لها إلا باعتبار الوجود كما مر سريانًا (**بحيث تكون تلك الصفات الكاملة**) له تعالى الكائنة (**في ضمن صفات الموجودات**) الاعتبارية الكونية (**عين صفات الموجودات**) إذ لا وجود إلا الوجود وصفاته، وما عداه عدم كما مر، فكما أن الوجود سارٍ في تلك الذرات، كذلك صفاته سارية أيضًا في تلك الصفات، فالذّرات والصفات للموجودات أمور اعتبارية، وما ثم إلا الوجود وصفاته (**كما كانت صفات الموجودات قبل الظهور**) والبروز بالوجود (**في تلك الصفات الكاملة له**) تعالى (**عين تلك الصفات**) لا غيرها حيث كانت أعيانًا ثابتة عَيَّنها له، واعتبرها، فحالها قبل الظهور حالها بعده، فالوجود هو الظاهر بالموجودات، وصفاته هي الظاهر بتلك الصفات، وتفطن ما مر عليك من أنه لا يجوز إطلاق أسماء مراتب الألوهية على غيرها ولا العكس، وإن كان في الواقع الكل واحد كأن تتأمل في ذاتك أنها عدم محض قام وتكيف بالوجود، فتعلم أن لا ذات ولا وجود إلا وهو لله لا لك.

ولكن باعتبار الشريعة لا يجوز أن تطلق ذلك؛ إذ هي تكاليف ومنن تَبْتَنِي

على التعينات الخارجية، ومن تراه من القوم يطلق ذلك، ويتكلم به، فهو في مقام شطحه، ومع هذا ينبغي لمسلكه أن يعنفه ويغرره، فمرادهم من هذا أنك في حال مراقبتك أن لا تشهد شيئًا إلا هو، إذ الكون وما فيه عدم محض قام به والعدم، لا وجود له في نفسه مع الوجود، فهو حقيقة كل موجود انكشف بهذا الإلباس بلا تغير عما كان عليه، وإذا كان حقيقة كل موجود تعين أن يكون عين ذاته، إذ الحقيقة هي المعبر عنها بهو هو، ولا ذات له إلا الوجود الذي هو الحق وما عداه مما نسميه ذاتًا عدم ظاهر معتبر ومقدر، فباعتباره تثبت الغيرية، وباعتبار الوجود تثبت العينية، وقد أوضحت لك السبيل، والله يتولى هداك.

(و) إذا كان الأمر كما ذكرنا علمت أن (**العالم بجميع أجزائه**) الظاهرة للبصر والباطنة عنه (**أعراض**) جمع: عرض، وهو ما يقوم بغيره بمعنى: أن لا قيام له بنفسه، بل وجوده في نفسه هو وجوده في غيره، ولا تتوهم مما فسر علماء النظر العرض بذلك، ومن قولهم: إنه قائم بالجواهر؛ إذ لا ثالث عندهم أن الوجود الحق - تعالى الله عن ذلك - بل الجوهر الذي عندهم هو عندنا في هذا المقام عرض من الأعراض، فلا جوهر عندنا في هذا المقام أصلاً؛ ولذلك قال رحمه الله: (**والعروض**) ولم يقل: والجوهر (**هو الوجود**) الحق القيوم الذي قام به كل شيء.

والمراد من قيام الإعراض به حصولها وتكيفها بسببه، فالباء في تفسيرنا العرض للسببية، وهي لا تقتضي التلبس والحلول، فاندفع أشكال بعض الطالبين والحمد لله.

(و) اعلموا أيضًا أن (**للعالم**) والموجودات الكونية (**ثلاث مواطن**) جمع: موطن، وهو كالوطن مقام النزول (**أحدها**) هو (**التعين الأول**) الذي في الواحدة للوجود الحق بمقتضى علمه الكاشف، وحقيقته المخصصة على طبق علمه، وهو تعين إجمالي له يُأَوَّلُ أن يكون اعتبارًا وفرضًا وتقديرًا، وأوليته من حيث عدم سبق تعين عليه، وهو أول كثرة في الوجود وبرزخ بين الحضرة الأحدية الذاتية، وبين المظاهر الخلقية.

(**ويسمى**) هذا العالم فيه أي: في ذلك التعين (**شؤونًا**) وأمورًا (**ثابتة**) في علمه تعالى لا وجود لها كما مر، بل هي كالمعاني (**وثانيها**) أي: المواطن (**التعين الثاني**) الذي هو في الواحدية، وهو اعتبار الأول وفرضه وتقديره، وقد مرَّ لك أن الأولية

والثانوية عقليتان لازمتان، فتفطن.

(ويسمى) أي: العالم **(فيه)** أي: التعين الثاني **(أعيانًا)** وحقائق **(ثابتة)** **في** علمه أيضًا، فهي معلومات أزلية في علمه تعالى **(وثالثها)** أي: المواطن **(التعين)** له **(في الخارج)** وعالم الشهادة ومقام الحدوث **(ويسمى فيه)** أي: في هذا التعين **(أعيانًا خارجية)** لكون تعينها في نفسه ظاهرًا في الخارج في ظهور الوجود الحق بها **(وأن الأعيان)** والحقائق **(الثابتة)** في علمه تعالى **(ما شمت رائحة الوجود)** بل ولا تشم، فهي أعدام ثابتة في علمه تعالى غير منفية عنه، إذ النفي عنه هو المستحيل إما لذاته كالشريك والوالد والولد، أو لغيره كالذي لا تتعلق به إرادة، وتسميتها أعيانًا ثابتة باصطلاح أهل الله، وتسمى كلياتها بالماهيات والحقائق، وجزئياتها بالهويات عند أهل النظر، فهي الصور الكلية الأسمائية التي تعينت في الحضرة العلية تعينًا أوليًا كما مرّ، فائضة من الذات الإلهية بالفيض الأقدس والتجلي الأول، إذ به تحصل الأعيان، واستعداداتها الأصلية في العلم، وبالثاني تحصل تلك الأعيان.

وإنما لم تشم رائحة الوجود؛ لأنها صور للأسماء العينية المختصة بالباطن من حيث هو ضد الظاهر، إذ الباطن وجه يجتمع مع الظاهر ووجه لا يجتمع معه، فالذي يجتمع معه هو الممكنات، والذي لا يجتمع معه هو الممتنعات، وهذه هي التي لا يعلمها إلا هو؛ لكونها لا تعلق لها بالخارج من الأكوان، وإليها الإشارة بقوله ﷺ: «**أو استأثرت به في علم غيبك**[1]»، ولما كانت هذه الأسماء طالبة للباطن هاربة عن الظاهر، لم يكن لها وجود فيه، فصورها وجودات علمية ممتنعة الاتصاف بالوجود العيني، ولا شعور لأهل العقل بها، ولا مدخل للعقل بها.

فهذه التي لم تشم رائحة الوجود هي حقائق إلهية من شأنها أن لا ظهور في الخارج، كما أن الممكنات من شأنها الظهور فيه، فهي باعتبار ثبوتها في الحضرة العلمية أزلاً وأبدًا ما شمت رائحة الوجود، وإنما لها مظاهر هي أحكامها وآثارها موجودة في الخارج ليس شيء منها باقٍ في العلم لم يوجد بعد؛ لأنها بلسان استعداداتها طالبة للوجود العيني، فلو لم يعطها الواهب الجواد وجودها لم يكن

---

(١) أخرجه أحمد (١/٤٥٢، رقم ٤٣١٨)، وابن أبي شيبة (٦/٤٠، رقم ٢٩٣١٨)، والطبراني (١٠/١٦٩، رقم ١٠٣٥٢)، والحاكم (١/٦٩٠، رقم ١٨٧٧) وقال: صحيح على شرط مسلم.

الجواد جوادًا، ولو أوجد البعض دون البعض لكان ترجيحًا بلا مرجح، ولما كانت أفرادها ومظاهرها لتوقعها بأزمانها التي يعلم الحق وقوعها فيه كان ظهورها من الغيب إلى الشهادة ظهورًا غير منقطع إلى انقراض الشهادة والنشأة الدنياوية؛ ولذلك كان آدم ﷺ خاتم هذه الخزانة، فإذا أبرزت جميعها وفك الختم؛ إذ لم يبق في الخزانة شيء، واقتضى الأمر قيام الساعة، وإذا كان الأمر كما ذكرنا علمت معنى قوله (**وإنما الظاهر أحكامها**) التي هي جزئيات تلك الكليات؛ إذ منه أحكام الكلي الانطباق على جزئياته التي هي عبارة عما يتميز بعضها عن بعض.

(**وآثارها**) أي: تلك الأعيان الثابتة في علمه تعالى، وهو ما يتأثر عنها في الظاهر من الخواص والأفعال والأقوال والأحوال واللوازم من أزمنته وأمكنته على طبق ما علمه وقدره أولاً، فهي من حيث ذواتها معدودات علمية كما تقدم، ومن حيث أحكامها وآثارها موجودات كونية، فكل شيء في الخارج داخل تحت تلك الأسماء، وإذا علمت ذلك علمت أن تلك الأعيان من حيث إنها صور علمية لا توصف بـ«المجعولية»؛ لأنها معدومات في الخارج، والمجعول لا يكون إلا موجودًا فيه، ومن قال: بـ«المجعولية» أراد بجعلها حدوثها الذاتي التي صارت به أعيانًا ثابتة، فالنزاع لفظي، ثم اعلم أن كل عين من تلك الأعيان كالجنس لما تحتها، وواسطة في وصول الفيض إلى ما تحتها إلى أن ينتهي إلى الأشخاص.

(و) اعلموا أيضًا (**أن المدرِك**) اسم فاعل، وهو من حصل له الإدراك أولاً قبل إدراك الحواس (**هو الوجود وبواسطته يدرك ذلك الشيء**)؛ لأنه هو المعين للأشياء في نفسه لنفسه، فالمدرك لها منها هو وحده، ولكن بواسطة يدرك ذلك الشيء المتصف بالإدراك؛ لأنه نور محض به تدرك الأشياء كلها، ولأنه ظاهر لذاته مظهر لغيره، وهو المنور لسموات الغيوب والأرواح وأرض الأجسام والأشباح بذر النور عليها بعد أن كانت في ظلمة العدم، فاتصاف المدركات بالإدراك بناء على أن إدراكها بواسطة الوجود، إذ هي وجدت به، فالإدراك له، ثم بواسطة تدرك هي، مثال ذلك ما قال (**كالنور**) البصري الشعاعي الذي يخرج من البصر على هيئة شكل مخروط قاعدته سطح المرئي (**مثلاً بالنسبة إلى سائر الألوان والأشكال**) فإن المدرك لتلك الألوان والأشكال أولاً هو ذلك النور، وبواسطته يدركها البصر، ولله المثل الأعلى.

(ولأجل دوام الظهور) يتعين كل متعين منه تعينًا في نفسه بعد تعينه في نفس الوجود (وشدته) وقوته حيث لا مزاحم له في ظهوره، لا يفهم العوام هذا المعنى، ويسندون الإدراك إليهم رأسًا.

(ولا يعلم) حقيقة (هذا الإدراك) الواسطي (إلا الخواص) من أهل الله، وهم والأولياء العارفون به، وخواص الخواص وهم الأنبياء.

(و) اعلموا أيضًا (أن القرب) قال سيدي الشيخ ابن العربي: هو القيام بالطاعة، وقد يطلق على حقيقته: قاب قوسين، وضده البعد، وهو الإقامة على المخالفات، وهو من المصادر التي لا تستعمل إلا بإحدى ثلاث إما «أل»، أو «من»، أو «الإضافة» كاسم التفضيل، والمراد قرب العبد من ربه هو (قربان) أي: منقسم إلى قسمين، ولا يراد أن المطابقة بين المبتدأ والخبر واجبة من كل وجه، وهنا لم يتطابقا؛ لأنا قدمنا أنه من المصادر، ويستوي فيه الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، ولا يرد أيضًا أنه حمل الشيء على نفسه، وهو لا يجوز؛ لأنا نقول: هو كذلك؛ ولكن ما نحن فيه ليس من هذا القبيل، بل قربان معناه نوعان، فلا يتصور فيه حمل الشيء على نفسه، إذ الشيء الواحد ينقسم إلى أشياء متعددة باعتبارات مختلفة، وكذلك يجوز حمل الشيء على نفسه إذا غايرها ببعض الاعتبارات كقوله: أنا أبو النجم وشعرى أحدهما.

(قرب النوافل) جمع: نافلة، وهي ما لم يجب من كل مطلوب (و) ثانيهما (قرب الفرائض) جمع: فريضة من «الفرض»، وهو التقدير سميت بذلك لتقدير الله إياها على المكلف (أما) الأول، وهو (قرب النوافل) (فهو) عبارة عن (زوال) جميع (صفات البشرية) التي تقتضيها عادة البشر وفنائها عن العبد (وظهور صفاته تعالى عليه) أي: العبد، فالتركيب معرف من شيئين: زوال صفات البشر، وظهور صفات الله تعالى عليه بأن تظهر فيه الحياة الأزلية، وتنعدم فيه الحياة الدنياوية إلى غير ذلك من الصفات (بأن يحيي) ذلك العبد من شاء بإحدى الحياتين: الحسية، والعلمية.

(ويميت) من شاء بإحدى الموتتين: الإرادية، والطبيعية، وذلك كائن (بإذنه) تعالى وقدرته وبإرادته ومشيئته التي ظهرت في العبد؛ إذ ورد في الحديث القدسي: «ابن آدم إني أنا الله، أقول للشيء: كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء: كن فيكون».

(و) كذلك ذلك العبد (**يسمع**) من جميع جسده من غير تخصيص بحاسة السمع (و) كذالك (**يبصر من جميع جسده**) من غير تخصيص بحاسة بصر أيضًا (**لا**) إن سماعه (**من الأذن**) فقط (و) كذلك إِبْصَارُهُ ليس من (**العين فقط**) كما هو شأن الطبيعة البشرية (و) كما أنه يسمع ويبصر من جميع جسده.

كذلك (**يسمع المسموعات من بعيد**) أيضًا من جميع جسده سماعًا لا تقتضيه العادة البشرية كمسيرة مائتي سنة ماضية أو مستقبلة (و) كذلك (**يبصر المبصرات من بعيد**) أيضًا إبصارًا لا تطيقه عادة البشر، وباقي الصفات (**على هذا القياس**) الذي ذكرناه (**وهذا معنى فناء الصفات**) البشرية في صفات (**الله تعالى**) الأزلية (**وهو**) أي: الحال الذي شرحناه من زوال الصفات في الصفات (**ثمرة النوافل**) أي: نتيجتها، وذلك ما سيأتي من حديث قدسي رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال الله ﷻ: «**من عادى لي وليًا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به**»[١]، [٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٢٣٨٤، رقم ٦١٣٧) وابن حبان (٢/٥٨، رقم ٣٤٧) والبيهقي (١٠/٢١٩، رقم ٢٠٧٦٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/٤).

(٢) فتأمل أيها المخلص الصادق في هذه الطريق، وأقبل بالقلب لتنظر بنوره، وتفهم أن كل شيء يسبح بحمده، وأن الأكوان ثابتة بإثباته، وممحوة بأحدية ذاته، وإن حصل لك وقفة معنا، فهي تسري لك من كل علم، وتفهم عنك كل فهم، فتعلم في ذلك بعلم من الكبريت الأحمر والإكسير الأكبر؛ لأن من لاح له من ذلك شيء يصل إلى تلك الحضرة الجامعة في أسرع حال، فيحصل له من النعم ما لا يخطر ببال، فيكون مع العين مشهود، ولا يكون من أهل البين والأين، فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، فهم الذين تنحت عنهم الحجب، فيكونون في مقام النعم الروحانية والنعم القلبية، فنحن غارقون في بحار شكر النعم، فلله الحمد على ما أولى وأعطى نعم المولى ونعم النصير، فنحن في حقيقة الشكر في العطاء والمنع، فلله الحمد والشكر على دوام الله سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣]، فكيف نؤدي شكر ما أنعم به علينا من فيض العطاء الواسع الفائض! انظر إلى أعلى مجالس تعريج أرواح الكُمل، إلى أعلى مقامات أهل القرب انتهاؤهم وحقيقتهم. إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر، وهي مخاطبتنا لخواص أحبابنا العارفين، أهل رتبة الكمال. وألقى منها المسرات والأفراح. قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾[التوبة:٢١] وقال: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن
=

(وأما الثاني) وهو قرب الفرائض (**فهو فناء العبد بالكلية**) أي: بالمرة (**عن شعور**) و(**إدراك جميع**) ما في العالم من (**الموجودات**) بل عن العالم أيضًا فناء في الظاهر والباطن (**حتى**) يغني (**عن نفسه**) فلا يشهدها إلا عدمًا محضًا، ومجرد اعتبار للوجود كشهوده سائر الموجودات، كذلك (**بحيث لم يبقَ في نظره**) البصري والفكري (**إلا وجود الحق سبحانه وتعالى**)، فيفنى حتى عن إرادته الفناء، وعن شعوره أنه فانٍ، وهو فناء الفناء المفسر بالبقاء الذي هو عبارة عن شهودك ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت:٥٤]، وقد أنكر بعض المحجوبين على القوم في قولهم: فلان في فناء الفناء، وفلان فانٍ، فيقول: كيف يفنى وطول ظله كذا وكذا ذراعًا، ويأكل كل يوم أرطالاً من الخُبْزِ! فيضحك عليهم، فلا تفعل ذلك فتهلك.

(**وهذا**) الذي شرحناه (**معنى فناء العبد في الله تعالى وهو**) أي: هذا الحال والمقام (**ثمرة**) المواظبة على (**الفرائض**) ولا تحصل هذه الثمرة، ولا ثمرة النوافل إلا بنية التقرب إليه تعالى، كما أشار إليه الحديث السابق لا بِنِيَّةِ كونه عابدًا ناسكًا، وهو في لسان القوم: من يطلب الأجرة على عمله، فقولهم: عابد ناسك ذمّ، كقول العرب: أنت الطاعم الكاسي.

=

فَضْلِهِۦ ﴾[آل عمران:١٧٠]، وسقاهم من كؤوس خمرة ذاته، وما شهد وعرف كنه ذاته إلا هو، وهو العليم الخبير، وليس هنا منازعة ولا حجب، و: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الحديد:٢١] وذلك ثبت وصح أنهم أهل الحقيقة معدن الكرم والجود في اصطلاحهم، وما أثبتوه وبينوه من هذا العلم اللدني، وهو الاسم الإلهي، وهي العين الواحدة الذي هو الوجود الظاهر، ووجب التعيين لا على التعيُّن، وعلى الظاهر لا على الظاهر، ودل عليه الحديث عن النبي ﷺ فيما رواه عن ربه تبارك وتعالى: «**لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**»، وهذا الحديث العظيم لا يفهمه أكثر الناس، فلا يفهمه إلا أهل الخصوص في فهم هذا الحديث ودليله، ويفهمه السالك الصادق الواصل إلى الحضرة الأحدية اللطيفة الروحية التي يفهمها العبد الواصل إلى غيب الحق المحيط بالغيوب، وهذا المورد من المعدن المحمدي، فهو لا إله إلا هو، والعجز عن إدراك ذاك إدراك، والعارفون المتلفتون تارة بالروح، وتارة بالقلب، ومن سرت فيه أقبل بصفاته التي هي القدرة والعلم والإرادة والحياة ووضوح العلم بها يكون بالله وهو العلي العظيم.

(و) اعلموا أيضًا (أن) العلم (من القائلين بوحدة الوجود) منحصر بالاستقرا في ثلاثة أقسام، فمنهم (من يعلم أن الحق سبحانه وتعالى حقيقة جميع الموجودات وباطنها علمًا) يقينيًا لا ذوقيًا، وشهوديًا، وعلم اليقين، وهو ما أعطاه الدليل للنظر في (ولكنه) مع هذا العلم اليقيني (لا يشاهد الحق سبحانه وتعالى في الخلق)؛ لاقتصار على مجرد الدليل، ولم ينكشف له الغطاء، فهو معدود من عامة أهل الطريق، وهو مقام الفرق (ومنهم من يشاهد الحق) تعالى (في الخلق) إلا أنه يكون (شهودًا حاليًا ذوقيًا (بالقلب و) البصيرة، فشهوده هذا يقال له: عين اليقين.

(وهذه المرتبة) الثانية (أولى) من الأولى؛ لكونها ناشئة عن كشف وشهو (وأعلى من المرتبة الأولى) وأرفع درجة ورتبة؛ لأن ما تعطيه الأولى علم اليقين وما تعطيه الثانية عين اليقين كما عرفت، وشتان ما بينهما (ومنهم) من (يشاهده) (في الخلق و) يشاهد أيضًا (الخلق في الحق بحيث لا يكون أحدهما) أي: الشهودين (مانعًا) وحاجبًا الآخر، بل يشاهد الشهودين معًا (فهذه المرتبة الأخيرة أولى من تِينَكِ (المرتبتين السابقتين)؛ لأن مآلها وحاصلها شهود بالحق بلا خلق، ولأنها مرتبة الكمال؛ لأن شهود الثالثة شهود الحق في الخلق من غير عكس، فهو على النقصان وإذا ثبت ازدياد علوها على الثانية كان بالنسبة للأولى بالضرورة، وكيف لا تكون أولى (و) هي (مقام الأنبياء) عليهم الصَّلَاةُ والسلام (ومقام الأقطاب)! الحاصل لهم بسبب متابعتهم للأنبياء، فأشرف التابع من شرف متبوعه، والأقطاب جمع: قطب وهو الغوث، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان.

(واعلم) أنك إن أردت أن تحصل هذا الشهود فَاتَّبِعْ الشريعة أولاً قولاً وفعلا واعتقادًا، والطريقة ثانيًا (إذ إن من المحال) شرعًا وعقلاً (أن تحصل المرتبة المتوسطة من تلك المراتب الثلاث) التي تقدمت لأحد (ممن خالف الشريعة وتعدى حدودها (و) خالف (الطريقة) وقطع علائقها وبنودها (فضلاً عن) تحصيل (المرتبة الأخيرة التي هي أعلى مما سواها) من الرتبتين السابقتين، وعدم تحصيل ذلك لهذه المرتبة ثابت بالبديهة، أو بالقياس الجلي.

(و) اعلموا أيضًا (أن جميع الموجودات) الكونية التي ظهرت بذر نور الوجود عليها (من حيث الوجود) هي (عين الحق سبحانه وتعالى) إذ الوجود كما مر واحد

وجود من حيث هو، هو محمول على الوجودات المضافة لصدق قولنا: هذا الوجود، وكل ما هو محمول على شيء لا بد أن يكون بينه وبين موضوعه ما به الاتحاد، وما به الامتياز، وليس ما به الاتحاد هنا سوى نفس الوجود، وما به الامتياز سوى نفس الهدية، فتعين أن يكون الوجود من حيث هو، هو عين الوجودات المضافة، وإلا لم يكن وجودًا ضرورة، وأنه لا يتحقق شيء في العقل، ولا في الخارج إلا به، فهو محيط بجميعها بذاته، وقوام الأشياء به، إذ لو لم يكن، لم يكن شيئًا مذكورًا إلا في العقل ولا في الخارج، فهو مقومها، وهو الذي يتجلى في مراتبه، ويظهر بصورها وحقائقها في العلم والعين، فيسمى بالماهية والأعيان الثابتة، فهو عينها.

(ولكنها من حيث التعين) الخارجي (غير الحق سبحانه وتعالى) أن ما به الامتياز غير ما به الاتحاد (والغيرية اعتبارية) لا حقيقية؛ إذ هي إنما تكون بين وجودين، ولا وجود غيره، فالغيرية باعتبار الهدية والتشكلات الخارجية.

(وأما من حيث الحقيقة) كما تقدم (فالكل هو الحق سبحانه وتعالى) وما عداه تعيناته العدمية، ومفروضاته الوهمية كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما كان عليه؛ ولهذا يقال: إنه أحد بالذات كل بالأسماء (ومثاله) أي: مثال ذلك (الحُباب) وهي أجزاء مائية تعلو سطح الماء بسبب ما ينغمس فيه بقسر أو غيره من جنسه أو غيره، فتخالطها أجزاء هوائية تنبسط الأجزاء المائية على سطحها، ولما كان الهواء كريًا كان الظاهر على هيئة نصف كرة، وهي المعبر عنها بالفقاقيع، وتتصور في المائعِ أيضًا من غيره، ففي التعين الظاهر هي غير الماء في الحقيقة عينه لما قررنا.

(و) كذلك (الموج) وهو ما تحبك من الماء بسبب جري الهواء على سطحه، ففي التعين الظاهري موج، وفي الحقيقة ماء رفعه الهواء (و) كذلك (الثلج) وهو ماء أثرت فيه سورة كرة الزمهرير حتى أخرجته عن طبعة وكيفيته إلى غير كيفيته، وكذلك الجمد، فإنه ماء أيضًا أثرت فيه سورة البرد، وكذلك البرد أيضًا.

(فإن كلهن من حيث الحقيقة عين الماء ومن حيث التعين) الظاهري (غير الماء) لما قدمنا، فجميع تلك الصور الظاهرة اعتبارات وتصاوير لا حقيقة لها سوى الماء (و) كذلك (السراب فإنه) أيضًا (من حيث الحقيقة عين الهواء ومن حيث التعين غير الهواء) والأولى في هذا وما قبله الأكتاف بالضمير اختصارًا (و) ذلك

(لأن السراب) وكذلك الآل **(في الحقيقة)** والواقع **(هواء ظهر بصورة الماء)** بسبب انعكاس الشعاع البصري من الأفق إلى سطح الأرض للناظر من بعد، فيحسبه ماء، وليس كذلك، فكذلك من ران على قلوبهم الأعمال الفاسدة من الكبر والأنانية، وإسنادهم الأفعال إلى قوة نفوسهم جهلاً بحقيقة الأمر وذهولاً عن قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ [الأنفال:١٧] فتكون لهم هذه الحالة حجابًا، فيشهدون مجرد التصاوير، والتعينات المسميات بالموجودات[1].

---

(١) قاعدة التحقيق ليست إلا بسابقة التوفيق، قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام:١٢٥]، وقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[الزمر:٢٢]، وإذا ظهر الحق في العارف كان الله ولا شيء معه أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]، فكان للعبد الصادق سمع الحق وبصره، وسائر قواه، كما قال ﷺ: «**إن الله قال على لسان عبده، سمع الله لمن حمده**»، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]، واليد يد محمد ﷺ وهو كذلك، هو الرامي حقيقة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال:١٧]، فيد الله الحق – هو الرامي بنفسه – والرمي عن محمد، وإثبات الرمي للحق، (ولكن الله رمى)، وقرب النوافل كون الحق بوجوده مجملاً في أنية العبد، وهو به له، فهو سمع العبد، وبصره، ولسانه، ويده، وسائر قواه كما في الحديث الثابت الصحيح المثبت في المقامين، فانظر وافهم عني: ما أقول لك أنت حقيقة عين ثابتة علمية أزلية ذاتية من جملة شؤونه الذاتية، ولا شمت رائحة من الوجود العيني؛ بل هي على وجودها العلمي الأزلي الأبدي، والمشهود الموجود في الأعيان منك لما كان الشاهد والمشهود وهو الحق.

وفي الحقيقة إن الحق هو الموجود المشهود في حقائق العلم في أعيان المحدثات كلها، وهي مظهر الحق موجودة في أعيانها، وفي كل العلوم المختلفة باختلاف صورها، والمشهود الموجود في الشهود، ووجودها الظاهر العلمي ظهور الوجود الحق في هذه المظاهر، وعلم الذات لا ينتقل إلى علم الصفات، العلم الذاتي إلى العين، لكن أثرت في مراتب الوجود الحق من حيث: قبوله وصلاحيته لتلك الآثار، فكان الحكم لله ولرسوله ﷺ، فحكمه حكم الحق علينا دنيا وأخرى، روحًا وجسمًا، ظاهرًا وباطنًا من حيث تحكم بما جرى به القضاء والقدر في الأزل شقاوة، وسعادة من حيث اقتضاء الخصوصيات، فكنا في الاستعداد، والكمال، والخصوصية في عين الرحمة على لسان الرسول محمد ﷺ، فطلب من الحق ما يقبل برحمته من ربه على خلقه، ونحن فيما تستأهله ونستحقه من اقتفاه، وبان نور الاصطفاء؛ لأنه قد ثبت مع ربه في الرضا في الشفاعة والله العليم الحكيم، العدل الحكم، فهو أصل الهداية، وإثبات الحق، فثبتت الأدلة الكشفية بحقائق الذاتية، وهو الظاهر
=

وأما ذكر المراد من كون الوجود واحد، وأنه هو الحق، وأنه من حيث هو، هو غير الوجودي الخارجي الذهني، إذ كل منهما نوع من أنواعه، فهو من حيث هو، هو لا بشرط شيء غير مقيد بالإطلاق والتقيد، ولا هو كلي ولا جزئي، ولا عام ولا خاص، ولا واحد بالوحدة الزائدة على ذاته ولا كثير، بل يلزمه هذه الأشياء بحسب مراتبه ومقاماته المنبه عليها بقوله تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [غافر:١٥]، فيصير مطلقًا ومقيدًا وكليًا وجزئيًا وعامًّا وخاصًّا وواحدًا وكثيرًا من غير حصول التغير في ذاته، وحقيقته أراد أن يثبت وحدة الوجود بالدليل، فقال: (**والدلائل**) جمع: دليل، وهو ما لزم من العلم به العلم بشيء آخر، أو الظن بشيء، أو من الظن به الظن بشيء آخر الدلالة تلك الدلائل (**على وحدة الوجود كثيرة**) عقلاً ونقلاً.

أما الدلائل العقلية، فقد مر بعضها، وأما النقلية فاستمدادها من الكتاب والسنة وإجماع أهل الله (**أما**) التي (**من القرآن**) فكثيرة منها: (**قوله تعالى**:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ ﴾) وما فيهما، فهما وما فيهما تعيناته ﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ ﴾ أي: توجهوا وجوهكم أو قلوبكم إلى أي حجة شئتم ﴿ فَثَمَّ ﴾، وهناك ﴿ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة:١١٥]، أي: ذاته وما عداه عدم معتبر قدره وصوره لا أن ذلك العدم هو نفس وجه الله، بل مظهر ذاته كما عرفت.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦]، قرب علم لا

=

المعهود، وهو الجامع، وهو الإنسان الكامل، والإنسان المفضل القائم بالحق بالحق مظهر من أتم، وأكمل، وأسبل علينا نعمه: ظاهرة، وباطنة، بحقيقة الإسلام الذي هو الانقياد للحق الكلي لله من كل وجه، وكل مرضي محبوب، وكل ما فعل المحبوب محبوب، فكله مرضي، فكنا مع الرسول وطاعته في ذلك الفن على قدر المعرفة والقرب، فكل من تابعه في امتثاله يكون في أعلى قربة، وهي حقيقة الحقائق، ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩] وقد صح لكل عارف بذلك الفن، أن يكون منهم في أهلية فضله وفضيلته، هم أهل الله في الدنيا، وهم أهل الله في الآخرة، فالظهور لمن كان له قلب يعلم تقليب الحق في الصور وتقلبه في الأشكال، فمن عرف نفسه عرف أن نفسه هي عين هوية الحق، ولا شيء من الكون فيه، كما أن الكون بائن كائن، الحق الواحد الذي لا موجود على الحقيقة، ولا مشهود في الوجود إلا هو، والحقيقة واحدة، قوله: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ ﴾[ق:٣٧] يتقلب في تقليبه.

مكان، إذ لا مكان له، فبين أنه أقرب إلى الإنسان من العرق الذي في عنقه الذي هو سبب حياته، فحياته في نفس الأمر به، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾، معية علم ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد:٤]، في بر أو بحر؛ إذ أنتم تصويره وتقديره الذي ظهر بكم بحسب حبه إظهار آياته ورفع أعلامه وراياته، فتكثر بحسب الصور، وهو على وحدته الحقيقية وكمالاته الرمزية وقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الواقعة:٨٣]، ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الواقعة:٨٤]، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ﴾ أي: إلى الذي بلغت روحه الحلقوم ﴿ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة:٨٥] قربنا إليه بعين بصيرتكم لاشتغالكم بالصور والأشكال العدمية الفانية عنا، وما ذلك إلا لكون وجوده به ولا بغيره، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾ يا محمد ﷺ وهو أصحاب السمرة على إظهار الملة المحمدية ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي: ما يبايعون إلا الله، إذ أنت مظهر له ظهر بك، وطلب منهم المبايعة، وهم مظهر له أيضًا فـ﴿ يَدُ ٱللَّهِ ﴾، التي مدت إليهم بالبيعة، وإن كانت من حيث الصورة العدمية، هي يدك. ولكنها في الحقيقة مظهر له لا يده، إذ لا جارحة له، بل المراد بها الغاية، وهي هنا القدرة أي: قدرة الله التي ظهر بها، وانكشف بيدك بها ﴿ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح:١٠]. وقد امتحنني الوارد الشيطاني بقوله: إذا كان الأمر كما ذكرت اتحد المبايع والمبايع، فقلت: أما من حيث الوجود فنعم، وأما من حيث التعين فلا، فقال من حيث الوجود، وما فائدة المبايعة؟

قلت: إن الله تعالى يقدر، ثم يفعل بحسب مشيئته، وقد قدر أزلاً إظهار ملة نبيه بمبايعة هذه الصور بعضها من بعض، وإن كان في الحقيقة هو الظاهر بها، فقال: إذا كان كذلك، فلم لم يقدر الإظهار بغير هذه الكيفية؟ إذ يمكنه ذلك فقلت: لا يُسأل عما يفعل، فانقطع، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد:٣]، لرجوع كل ما يظهر في الشهادة وبطن في الغيب إليه، فالأشياء كلها تصاويره وتقاديره ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٩]؛ لإحاطته بالأشياء لذاته، وحصول العلم لكل عالم إنما هو بواسطة، فهو أولى بذلك، بل هو الذي يلزمه جميع الكمالات، وبه يقوم كل من الصفات كالحياة والعلم والقدرة وغيرها، فهو

الحي العالم المريد القادر السميع البصير بذاته لا بواسطة شيء، إذ به يلحق الأشياء تحقيق كمالاتها، وقال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات:٢١]، بعين البصيرة، وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [فصلت:٥٣]، فاستدلالنا بناء عليه، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾، لجهلهم كنهي ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌۖ ﴾ [البقرة:١٨٦] لكوني الواحد الظاهر بأشكالهم التي صورتها وقدرتها، وقال تعالى مخاطبًا لنبيه ﷺ يوم غزوة بدر: ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ ﴾، أنت الحصا في وجه العدو وبذاتك التي هي تقديرنا وتصويرنا ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ ﴾ [الأنفال:١٧]، بقوة وجوده الواحد، فلا قوة إلا له، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ مُّحِيطًا ﴾ [النساء:١٢٦]، إحاطة علم وتقدير وتصوير (**إلى غير ذلك الآيات**) الدالة على وحدته تعالى.

(**وأما من السنة فقوله ﷺ: أصدق كلمة قالها العرب**)[1].

وروي: قالها قائل، وروي: قالها شاعر - (**كلمة لبيد**) على وزن: «زبيد» شاعر معروف، وإطلاق الكلمة على البيت مجازًا من إطلاق الجزء وإرادة الكل؛ لكون الكلمة هي الركن الأعظم حيث يتركب البيت منها كتسميتهم: ربيئة القوم عينًا، وتسمية السماع لكل حديث أذنًا: (**ألا كل شيء ما خلا الله باطل**) تمامه (**وكل نعيم لا محالة زائل**)[2] أي: ﴿ كُلُّ شَىۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴾ [القصص:٨٨] حتى الجنة والنار يهلكان، ثم يعودان وقت الجزاء عند قيام القيامة الكبرى بعد قوله: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ [غافر:١٦]؛ فالكل محض تصوير ليس له وجود، وإنما الوجود هو الحق سبحانه وتعالى[3].

(**وقوله: ﷺ إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة**) فرضًا أو نقلاً (**فإنما يناجي**) ويكلم (**ربه**) في قراءته ودعائه إلا أنه يكلم نفسه، وإن كان هو مقتضي الظاهر، إذ لا

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠/٢١). ومسلم (١١٤/١٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤٧٠/٢، رقم ١٠٠٧٦)، والبخاري (١٣٩٥/٣، رقم ٣٦٢٨)، ومسلم (٤/ ١٧٦٨، رقم ٢٢٥٦)، وابن ماجه (١٢٣٦/٢، رقم ٣٧٥٧).

(٣) رواه البخاري (٣٧٠/٢١). ومسلم (١١٤/١٥).

يرى أحدًا يخاطبه (**فإن ربه بينه وبين القبلة**)[١] لا وجهة لله تعالى، فلا تتوهم من البينية، بل هو كناية عن الوجود الظاهر بتقدير الإنسان وتصويره وتقدير القبلة وتصويرها؛ وكذا بتقدير الصلاة أيضًا، فإذا توجه إلى القبلة توجه إلى الوجود الظاهر بتصويره لها.

(وقوله ﷺ) حكاية (**عن الله تعالى: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»**)[٢] هذا جزء حديث مرّ ذكره متنًا وإسنادًا، وقوله: «لا يزال» إشارة إلى نية الدوام على محض الطاعة، وبقوله: «عبدي» إشارة إلى أنه لا يكون كذلك؛ إلا إذا كان قائمًا بصفة العبودية.

(وقوله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، وجُعْتُ فلم تطعمني...إلى آخره**)[٣]. والذي رواه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن الله تعالى يقول: «**مرضت فلم تعدني، قال: يا رب، وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته وجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم**

(١) أخرجه البخاري (١/١٦١، رقم ٤٠٦)، وعبد الرزاق (١/٤٣١، رقم ١٦٨٦)، وأحمد (٢/١٥، رقم ٩٣٥٥)، وابن حبان (٦/٤٦، رقم ٢٢٦٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) افهم هذا العلم اللدني ألحظ إلى لمح مستغرق شربه ظاهرًا بلحظ الكون، وفي الحقيقة بلحظ الحق باستراق النظر عن أعين الحجاب والرقباء الذين هم الحجاب؛ لأنهم يحسبون أنهم مع الله وهم في حظوظهم وهواهم وهم ظلمة؛ لكن انظر إلى ضياء الكُمَّل، وشهودهم فإنهم غايتهم المحبة وهي الصلة، قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤]، وقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه:٣٩] وكل ما سوى الحق هو الباطل، وما سوى الحق هو العدم، إذ لا وجود في الحقيقة إلا الحق. قال ﷺ: «**أصدق بيت قالته العرب ما قال لبيد: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ**» فسبحان من احتجب عنا بعزته، أن يعرف بحقيقته وهويته كما يعرف هو ذاته بذاته، فإن ذاته لا يراها أحد على ما هي عليه إلا هو، الجمال من تجليه بوجهة لذاته بجمال المطلق جلال، وافهم أنه لا يعرف الله إلا الله.

تطعمه، أما علمت لو أطعمته وجدت ذلك عندي...إلى آخره»[1].

فإنه تعالى ما أَنْزَلَ نفسه منزلة عبده إلا لعلمه أنه الوجود الواحد الذي ظهر بذلك العبد وغيره من المخلوقات، وما عداه تقدير وتصوير لا وجود له إلا به.

(وروى الترمذي) أبو عيسى في «السنن» عن أبي هريرة ﷺ **(في حديث طويل)** اقتصر المصنف منه على محل الشاهد، وهو **(والذي نفس محمدٍ بيده لو أنكم دليتم** - من التدلي - **بحبل إلى الأرض السفلي لهبط)** ذلك الحبل **(على الله تعالى)**[2] أي: على تقدير الله وتصويره الموجود بوجوده، فلا موجود إلا واحد وكما أنه ظاهر في السموات والأرض بما قدر وصور من الأعدام كذلك هو ظاهر تحت الأرضين السبع؛ إذ لا في الكون موجود إلا وهو ظاهر به[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٩٠، رقم ٢٥٦٩)، وابن حبان (١/٥٠٣، رقم ٢٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/٤٠٣، رقم ٣٢٩٨)، وقال: غريب.

(٣) إذا علمت أن الوجود هو الحق، علمت سر قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد:٤] وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[الواقعة:٨٥] وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[الزخرف:٨٤] وقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[النور:٣٥] وقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾[فصلت:٥٤] وقوله ﷺ: «كنت سمعه وبصره»، وسر قوله ﷺ: «لو دليتم بحبل لهبط على الله»، وهذه الأسرار المنبهة للتوحيد، وإشارات لأهل البصائر، أهل حضرة الغيب المطلق، وهي حضرة المشاهدة العلمية، وتقابلها حضرة الشهادة المطلقة، وكل شيء راجع إلى الحضرة الواحدية، مظهر الحضرة الأحدية، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] وقد أطعنا الحق، فغرس في قلوبنا محبته، واتباعه على الرأس والعين وله الحمد والمنة والاقتفاء والهداية: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[الأعراف:٤٣]، ولطفه وسريانه في سائر الأشياء، ولا تدركه الأبصار بلطفه في أعيان الأشياء، وهو اللطيف الخبير، وقابلناه بتوجهنا إليه، بشوق، وذوق، وإخلاص، وتحقق محض العبودية لمن فهم، وهو يهدي السبيل، ويختص برحمته من يشاء، وهو الذي صح له التحقيق من أهل الطريق، وسار في سيرهم، وغمرته أنوارهم، وبلت رداءه أمطارهم، وهم في شربهم من كأس خمرة الود، والوصل في أحسن تقويم العقل، وماسكين الشريعة، وهم في حالهم البتة، لا يرون بعين بصائرهم إلا مشهد الحق الصرف، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩] وكان رسول ﷺ يبرز بنفسه للمطر إذا نزل، ويكشف له رأسه حتى يصيبه، ويقول: «حديث عهد بربه»، فانظر إلى معرفة هذا النبي ﷺ بالله، ما أجلها وأعلاها!، =

(ثم) بعد أن ذكر النبي ﷺ الكلام الأول **(قرأ عليه الصلاة والسلام)** شاهدًا لم قال: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد:٣]، قدر معناه **(إلى غير ذلك)** الذي ذكرناه **(من الأحاديث)** جميع حديث، وهو في العرف م كان عن النبي ﷺ **(الصحيحة)** الغير الفاسدة الموضوعة، فيشتمل الصحيح لذاته ولغيره، والحسن لذاته ولغيره بجميع أنواعها من مشهور ومستفيض وعزيز وغريب. ويشمل المتواتر أيضًا **(وأما)** الإجماع، فدلت عليه **(أقوال العارفين)** بالله **(الدالة)** تلك الأقوال على إجماعهم **(على)** القول بوحدة **(الوجود)** وأما **(فكثيرة بحيث لا تأتي و)** لا تتحصل **(في العدد)** صيغة من صيغ العدد **(و)** كذا لا تتحصل **(بالحصر)** والحد لاختلاف ألفاظها، فلا يمكن أن يحصرها حتى يدل عليها مطابقة أو تضمنًا أو التزامًا.

نعم! لها جهة وحدة **(ولذا)** لعسر حدها وحصرها **(لم أذكرها)** في هذه العجالة **(وإن شئت)** وأردت الاطلاع على بعضها، أو كلها **(فعليك بالمطالعة)** أي: الزم النظر والتأمل **(في)** بعض **(نسخهم)** أو كلها، فإن طالعتها **(تجد)** ما ذكرناه لك **(إن شاء الله تعالى)** رشادك، وكشف ما ران على قلبك، وهو يتولى هداك.

(و) اعلم أيها الطالب لما طلبنا **(إن أردت الوصول إلى الله تعالى)** باعتبار المرتبة الوحدة، وإلا فقد تقدم أنه لا يمكن الوصول إليه باعتبار الأحدية، فطريق ذلك الصبر المفسر بحبس النفس على الطاعات؛ إذ هو أول المقامات السلوكية بعد التوبة، وهو معنى قوله **(فالزم)** أنت **(متابعة)** أحوال **(النبي ﷺ أولاً)** قبل شروعك في هذا المقام، إذ من سلك بلا شريعة كان سيره عبثًا، وأن يكون اتباعك النبي ﷺ

=

وقد سخر له المطر، فبرز له لقربه من ربه، وهو صاحب الوحي والتنزيل، ومهبط الأمين جبريل عليه السلام بالقرآن العظيم، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ [طه:١١٤] وليلة الإسراء وقف جبريل عليه السلام، فخاطبه بما معه، فقال: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[الصافات:١٦٤] فأماط الله لنبيه ﷺ الحجب، وأدناه ربه إليه، وقربه، وأعطاه الرضا، رضاه لأمته، ونص القرآن: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[الضحى:٥] فصح له الرضا من الحق في أمته، وقوله: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾[غافر:١٥] وقوله: ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾[النور:٤١].

(**قولاً**) بأن لا تنطق إلا بما شرع (**وفعلاً**) بأن لا تفعل إلا ما شرع، وأن يكون ذلك (**ظاهرًا وباطنًا**) عملاً واعتقادًا (**ثم**) بعد حصولك على الصبر (**افعل**) مصاحبًا له (**مراقبة**) وملاحظة (**وحدة الوجود**) التي قدمنا ذكرها (**التي هي عين**) وحقيقة (**معنى الكلمة الطيبة**) أعني: لا إله إلا الله، ولم تزل ذاكرًا لله على هذه الكيفية حتى ينتقل الذكر من لسانك إلى قلبك، ولكن بشرط أن لا تكون أسير شيء، فتنور باطنك بحكم: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر:٦٩].

فتحصل لك التجليات الصفاتية والأسماء؛ لأنه - تعالى - قال: «**أنا جليس من ذكرني**»[1]. والجليس لا بد أن يكون مشهودًا، فالذكر بهذه الكيفية أفضل من الغزو والشهادة في سبيل الله تعالى؛ لأن ثوابهما حصول الجنة، وثوابه المشاهدة والرؤية، وهي أفضل من حصول الجنة؛ ولذلك كانت الرؤية بعد حصولها، والله أعلم.

ثم اعلم أن ذكرك هذا لا يشترط فيه شيء مما يشترط في غيره من العبادات، بل هو (**من غير اشتراط الوضوء**) المشتمل على الفروض الستة أعني: النية، فغسل الوجه، فاليدين، فمسح الرأس، فغسل الرجلين، ومن غير اشتراط الطهارة عن حدث أكبر أيضًا لرفع الحرج عنك، إذ كل حرج حجاب (**ولكن إن وجد**) منك (**فهو أولى**) وأفضل؛ لأن المداومة عليه استحبها العلماء.

(**و**) كذا (**لا**) يشترط لذكرك هذا (**تخصيص وقت دون وقت**) كليلة الجمعة، ويوم كذا مثلاً، أو ساعة كذا، أو وقت كذا (**و**) كذا (**من غير ملاحظة النفس**) بفتح السين المهملة أي: نفسك (**دخولاً وخروجًا**) فإنها حجاب أيضًا (**في**) حال (**المراقبة**) ولا تعيني بما قاله جمع من اشترط تلك (**و**) كذا (**لا**) يشترط (**ملاحظة حروف الكلمة الطيبة**) من تجويد وإعراب؛ لأنها حجاب أيضًا (**بل لا تلاحظ**) أنت في ذكرك (**إلا المعنى فقط**) بأن تقصد لا موجود بذاته إلا هو كما قدمناه لك، وذلك (**في كل حال**) من أحوالك حال ذكرك، لا فرق في ذلك بين أن تكون (**قائمًا أو قاعدًا**) مقعيًا، أو مربعًا، أو متوركًا، أو مفترشًا، أو مستوفزًا (**أو ماشيًا**) بأي نوع كان، ولا فرق بين أن تكون (متحركًا أو ساكنًا شاربًا أو آكلاً) أو صائمًا أو متحرقًا أو غير

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣٨/١).

متحرق.

(واعلم أن طريقة المراقبة) المذكورة (لن تنفي) أنت (إنيتك أولاً) قبل شروعك فيها، ثم لم تزل مصاحبًا لنفي هذه الإنية في مدة ذكرك هذا (والإنِّية) بفتح الهمزة وتشديد النون والياء التحتية هي (عبارة من أن تكون وباطنك غير الحق - سبحانه وتعالى - ولا تنفي) في قولك لا إله (إلا هذه الإنّية)؛ وقد مرَّ لك طريق نفيها (وهو) أي: نفيك لها (عين معنى لا إله)؛ إذ لو لاحظت أن غيره موجود بوجوده الذاتي ليس موجودًا بوجوده - تعالى - لزم قدمه، ثم لزم كونه إلهًا كما مر. فتفطن.

(ثم) بعد نفيك هذا (اثبت) أنت (الحق سبحانه وتعالى) أي: وجوده (في باطنك) وقوله (ثانيًا) تأكيدًا لمعنى «ثم» المفيدة للتعقيب والتراخي (وهو) أي: هذ الإثبات (عين معنى «إلا الله»، فإن قلت)، قد تقدم أن الوجود واحد، وما عداه مجرد اعتبار (فإذا كان الوجود واحدًا أو غيره ليس بموجود بنفسه، فأي شيء تنفي) بقوله: لا إله (وأي شيء تثبت) بقولك: لا إله مع أنه ثابت بنفسه، واحد بنفسه غير محتاج إلى إثباتك الموهم وجود غيره، وإن كانت السالبة صادقة بعدم الموضوع (قلت: إنما أنفي (وهم الغيرية) الطارئ على النفوس البشرية، ووهم الإثنينية، فلا يتوهم أنه اثنان، وهذا الوهم (نشأ للخلق) من جهة احتجابهم بغيره، وشهودهم ووجودهم الحادث (وهذا الوهم الباطل) في نفس الأمر (فعليك) اسم فعل معناه: الزم (أن تنفي هذا الوهم أولا) قبل الشروع في الإثبات حتى تنسلب من مقتضى البشرية (ثم نثبت الحق سبحانه وتعالى ثانيًا ثم).

اعلم يا أيها الطالب (إذا) شرعت في المراقبة والذكر (وغلب عليك الحال) وذلك (بفضل الله تعالى) بمجاهدتك (لا يقدر على نفي أنيتك الوهمية، بل لم يبق فيك) حينئذ (إلا إثبات الحق - سبحانه وتعالى - رزقنا الله وإياكم هذا المقام بحرمة النبي ﷺ)؛ وذلك لأن العارف لا همة له، وقد قيل: لا حركة لعارف، وقد قيل: على قدر المعرفة بطلان الهمة، وقيل: العارف عليّ المكانة، تام المعرفة، ناقص الهمة.

وهذا آخر ما تيسر والحمد لله